
مغامرات بوليسية
اسنان النمر
ارسين لوبين
دار
المرجاني

أسنان النمر

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار الفرجاني
القاهرة : ٢ ميدان الذهبي - منشية البكري - مصر الجديدة
تليفون : ٢٩٠٥٨٩٥ - ص. ب : ٢٣٨٢ الحرية

الغلاف :الفنان صالح وحيد- الجمع التصويري / سحر اسماعيل
رشا اسماعيل

اسنان النمر

تعريب

عمر عبد العزيز امين

دار الفرجاني

القاهرة - طرابلس - لندن

عندما انتصفت الساعة الخامسة .. لم يكن مسيو ديماليون مدير البوليس قد حضر الي مكتبه بعد . فاخذ سكرتيره في ترتيب بعض الاوراق علي المكتب ثم دعا اليه الخادم وقال له :

❁ لقد دعا مدير البوليس خمسة أشخاص لمقابلته في الساعة الخامسة .. فاليك قصاصة ورق تتضمن اسماء هؤلاء الخمسة . ومتي حضروا فدعهم ينتظرون فرادي .. وجئني ببطاقاتهم .. واحذر أن يتصل احدهم بالآخر .

وانصرف الخادم . أما السكرتير فانه هم بدخول غرفته من خلال باب يوصل بينها وبين غرفة المدير .. ولكن باب هذه الغرفة فتح فجأة .. ودخل منه رجل ممتقع الوجه .. مد يده في الحال ليستند الي أحد المقاعد كما لو كان لا يقوي علي الوقوف

هتف السكرتير حينما رآه :

❁ أهذا أنت يا مسيو فيرو ؟ ولكن .. ماذا بك ؟ ماذا اصابك ؟

كان مسيو فيرو مفتش البوليس رجلا قوي البنية عريض المنكبين شديد حمرة الوجه .. وقد لاحظ سكرتير مدير البوليس انه شديد شحوب الوجه خلافا للعادة .. فأيقن أن الرجل مريض . أو منزعج لأمر ما ..

أجاب فيرو : ليس بي من شيء يا سيدي السكرتير

❁ ولكنك ممتقع الوجه .. والعرق يتصبب علي جبينك ..

❁ إنني متعب قليلا .. وقد بذلت مجهودا عظيما في الأيام الأخيرة لأنني اريد باسرع ما يمكن اماطة اللثام عن أسرار القضية التي كلفني بها مدير البوليس

❁ هل تريد قدح ماء ؟

❁ كلا .. كلا ..

❁ اذن ؟

❁ أريد فقط .. أريد ..

ثم زاغ بصره .. وخيل انه لا يقوي علي اتمام كلامه تماسك .. وسأل : هل جاء مدير البوليس ؟

❁ كلا .. ولكنه سيكون هنا في الساعة الخامسة تماما لحضور اجتماع هام

❁ نعم .. أعلم ذلك .. انه اجتماع عظيم الاهمية .. ولكني كنت أود أن أراه قبل هذا الاجتماع .. نعم .. لابد أن اراه قبل ذلك لأفضي اليه بأمر

فصعده السكرتير بعينه ثم قال :

❁ يلوح لي انك شديد الاضطراب يا مسيو فيرو .. ولكن هل لذلك الأمر الذي تريد ان تفضي به الي مدير البوليس اهمية ؟

❁ ان له اهمية عظمي .. لانه يتصل بجريمة قتل ارتكبت منذ شهر تماما وبجريمتي قتل تتفرعان من الجريمة الاولي في النية ارتكابهما الليلة .. نعم .. سترتكبان الليلة ما لم تتخذ الاجرا ءات الضرورية للحيلولة دون وقوعهما .

❁ ولكن ما دمت علي علم بهذا كله .. فان في استطاعتك ان تتخذ الاجرا ءات الضرورية دون الرجوع في ذلك الي مدير البوليس .

❁ ان هناك اشيا ء اريد ان اطلعه عليها .. وقد خطر لي انني ربما لا استطيع مقابلته لسبب من الاسباب . ولذلك كتبت له هذه الرسالة . وسجلت فيها كل ما اعلم عن القضية والحوادث التي نحن بصدد تحقيقها قال ذلك وأخرج من جيبه غلافا أصفر اللون كبير الحجم . قدمه الي السكرتير وهو يقول :

❁ اليك الرسالة يا سيدي السكرتير .. واليك كذلك هذ الصندوق الصغير .. فانه يتضمن شيئا يوضح ما جاء ف الرسالة .

❁ ولكن لماذا لا تحتفظ معك بالرسالة والصندوق ؟

❁ انني خائف .. انهم يراقبونني ويريدون التخلص مني . ولن اكون في سلام الا عندما لا اصبح الوحيد الذي يعرف السر

❁ لا تخش شيئا يا مسيو فيرو .. ان مدير البوليس لن يبطئ عن الموعد الذي حدده . ولكني انصح لك ان تقصد الان الي صيدلية الادارة .. وتطلب اي شراب منعش مقو .

فتردد مفتش البوليس لحظة .. ثم جفف العرق المتصبب علي جبينه وتشدد وخرج .

ولما انفرد السكرتير . تناول الرسالة ووضعها في ملف ضخم كان علي مكتب مدير البوليس .. ثم قصد الي مكتبه من خلال الباب الذي يفصل بين غرفته وغرفة مدير البوليس .. بيد انه لم يكن يتواري . حتي فتح باب غرفة المدير .. وعاد مسيو فيرو .. هتف وهو يترنح :

❁ يا سيدي السكرتير .. ان من الافضل ان ..

وكانت سحنته قد انقلبت انقلابا مخيفا .. واخذت اسنانه تصطك ولما وجد الغرفة خالية .. اراد ان يجتازها الي غرفة السكرتير .. فخذلته قواه . وتهالك علي احد المقاعد .. وغمغم وهو يمر بيده فوق جبهته .

❁ ماذا اصابني ؟ تري هل سمموني .. انا كذلك ؟

وخيل اليه ان سحابة قاتمة قد غشيت عينيه .. وتركته في الظلام فصاح بصوت اجش :

❁ النجدة .. النجدة .. السم يسري في جسدي انقذوني .

ولكن صوته لم يصل الي ابعد من اذنيه . غمغم كمن هو تحت تأثير كابوس ..

❁ الاسنان .. الاسنان البيضاء ..

واراد النهوض .. فسقط علي الارض .. وأخذ يزحف علي يديه وركبتيه .. وهو لا يري مما حوله شيئا ..

كان مسيو ديماليون يشغل منصب مدير البوليس منذ بضعة أعوام وهو رجل في الخمسين من عمره .. استطاع بنشاطه وحنكته وبعد نظره ودعته ودماثه خلقه أن يرغم الجميع علي احترامه وحبه .

دخل مسيو ديماليون غرفة مكتبه في الساعة الخامسة إلا بضع دقائق ولحق به سكرتيره في الحال .. سأله : هل جاء الاشخاص الخمسة الذين دعوناهم الي الحضور ؟

❁ نعم ياسيدي .. وقد امرت باستبقائهم في غرف متفرقة لكيلا يتمكن احدهم من الاتصال بالآخر ..

❁ لم تكن ثمة ضرورة لذلك .. هل لديك بطاقاتهم ؟

❁ نعم وها هي يا سيدي ..

وقرأ مدير البوليس في البطاقات الخمس التي وضعت امامه الاسماء التالية :

ارشيبالد برايت سكرتير أول السفارة الامريكية

الاستاذ ليبرتاس مسجل عقود .

جوان كازيرس ملحق بمفوضية بيرو .

الكونت داستريناك ضابط متقاعد

أما البطاقة الخامسة فكانت تحمل فقط هذا الاسم .

" الدون لويس برينا "

قرأ مسيو ديماليون هذا الاسم وهتف :

❁ بودي أن أري هذا الرجل .. فان امره يثير فضولي .. هل قرأت التقرير الذي ارسلته عنه الفرقة الاجنبية في جيش المستعمرات ؟

❁ نعم .. واعترف أن أمره اثار فضولي كذلك .

❁ لقد وصفه التقرير بأنه شجاع الي ابعد حدود الشجاعة ..

علي ان أغرب ما جاء عنه في هذا التقرير .. أن زملاءه في الفرقة الاجنبية كانوا في المدة التي قضاها معهم في مراكش يسمونه ارسين لوبين نظرا لضروب المهارة والبراعة التي كان يبديها .

ولكن بهذه المناسبة .. كم انقضي من الزمن علي موت ارسين لوبين ؟

❁ انه مات منذ اربعة اعوام تقريبا ياسيدي .. فقد وجدت جثته تحت انقاض قصر محترق علي حدود لكسمبورج .

❁ تلك كانت النهاية التي يستحقها معتوه مثله ولكن لنرجع الي موضوعنا ..أين ملف قضية ميراث (مورننجتون) ؟

❁ ها هو علي المكتب ياسيدي

❁ آه .. نسيت ألم يحضر المفتش فيرو ؟

❁ نعم ياسيدي .. واعتقد انه يتناول الان شرابا منعشا في صيدلية ادارة البوليس .

❁ ماذا به ؟

❁ خيل الي انه مريض جدا ..

❁ كيف ذلك ؟ اسرد علي ما حدث بالتفصيل ..

فسرد السكرتير علي رئيسه ما كان بينه وبين فيرو . ولما فرغ سأله مسيو ديماليون :

❁ تقول انه ترك لي رسالة .. فأين هي ؟

❁ في ملف القضية يا سيدي .

❁ هذا عجيب .. بودي ان اعرف السر في قلق فيرو .. ارجوك ان تبحث عنه في صيدلية الادارة .. ريثما القي نظرة علي محتويات البريد

فخرج السكرتير مسرعا . وعاد بعد خمس دقائق وعلي وجهه علامات الدهشة لانه لم يجد فيرو .

قال : اغرب ما في الامر ياسيدي ان الخادم رآه وهو يخرج من هذه الغرفة . ثم وهو يعود اليها علي الاثر .. ولكنه لم يره يخرج منها للمرة الثانية .

❁ ربما عاد الي هذه الغرفة ليصل عن طريقها الي غرفتك

❁ الي غرفتي ؟ ولكني لم اتحرك من مقعدي يا سيدي .. ولم اره بعد ان تركني

❁ هذا غريب .. الرجل اذن قد تبخر .. اللهم الا ان يكون قد خرج دون ان ينتبه اليه الخادم .. مهما يكن من امر فانني لست في شدة الحاجة اليه الآن .

ثم نظر الي ساعته وقال :

❁ الساعة الآن الخامسة وخمس دقائق .. مر الخادم بان يدعو هؤلاء الاشخاص الخمسة .. آه .. صبراً لحظة ..

ذلك انه تصفح اوراق الملف الذي كان امامه . فعثر برسالة فيرو . تناولها بين يديه .. وفحصها .. ووقع بصره علي هذا العنوان (مقهي الجسر الجديد) مطبوعا في ركن الغلاف

قال السكرتير :

❁ اظن من الضروري يا سيدي .. بعد الذي سمعته من فيرو ونظرا لغياب هذا الاخير . أن تبادر الي قراءة محتويات هذه الرسالة . فربما كان في محتوياتها ما يتصل بجريمة القتل المزدوجة التي اشار مفتش البوليس الي انها سترتكب الليلة .

ففكر مسيو ديمالون لحظة ثم قال :

❁ ربما كنت علي حق . ومزق الغلاف . وتناول منه الرسالة . ولكنه لم يكد يلقي ببصره عليها . حتي أفلتت من بين شفتيه صيحة دهشة ..

هتف السكرتير :

❁ ماذا حدث يا سيدي ؟

* انظر .. هو ذا كل ماوجدت داخل الغلاف .. ورقة بيضاء خالية من الكتابة .
* مستحيل ..
* انظر .. ورقة بيضاء مطوية .. وليست عليها كلمة واحدة
* ولكن فيرو قال لي بصريح العبارة أن الرسالة تتضمن جميع مالديه من المعلومات عن القضية .
* ذلك ما قاله لك .. ولكن هاهي رسالته .. لولم أكن أعرف فيرو حق المعرفة لاعتقدت انه يقصد الدعابة .
* ربما كان قد وضع هذه الورقة عوضا عن الرسالة سهوا .
* ولكن هذا السهو من ناحية يثير دهشتي كذلك .. والانسان لايجب أن يسهو حين يكون الامر متصلا بحياة شخصين .. ألم يقل لك أن هناك مؤامرة أو تدبيرا لقتل شخصين الليلة ؟
* نعم ياسيدي .. وقال لي انهما سيقتلان بطريقة مخيفة .. شيطانية .

فأخذ مدير البوليس يسير في الغرفة جيئة وذهابا وقد عقد يديه خلف ظهره . وأخيرا وقف أمام طاولة الكتابة وأشار الي الصندوق الصغير الذي تركه له فيرو وسأل :

❁ ما هذا الصندوق الصغير الذي أراه علي مكتبي ؟

❁ آه .. انني نسيت في الحق يا سيدي .. لقد تركه المفتش فيرو وقال انه يتضمن شيئا هاما يفسر ما جاء في الرسالة

فمرت علي شفتي مدير البوليس شبه ابتسامة وقال :

❁ لا أفهم في الواقع معني أن تكون الرسالة بحاجة الي ايضاح .. فلننظر محتويات هذا الصندوق .

كان الصندوق صغيرا مصنوعا من الورق المقوي كالصناديق التي تستخدم في الصيدليات لحفظ زجاجات العقاقير الطبية ، فحل مدير البوليس أربطته ، وفتحه .. ووجد بداخله حزمة من ورق اللف .. فلما أزال هذا الورق .. انتهي الي قطعة من الشيكولاتة

دهش مدير البوليس وهتف :

❁ يا للشيطان .. ما معني هذا ..

وتناول قطعة الشيكولاتة .. وفحصها فألفاها هشة .. وعلي شيء كثير من الليونة .. ورأي عليها آثار اسنان واضحة جلية .. وكل سن منفصلة عن جارتها وقد غاصت كل منها في قطعة الشيكولاتة الي عمق ثلاثة ملليمترات تقريبا

نظر مسيو ديماليون الي هذا الأثر العجيب نظرة تفكير ودهشة وغمغم :

❁ هذا عجيب .،. انني امام لغز أتوق الي معرفة حله .. نعم ما معني هذه الورقة البيضاء . وآثار الاسنان

ولما كان الوقت لا يسمح باطالة التفكير ، وكان من المنتظر بين لحظة وأخري أن يعود المفتش فيرو فيوضح هذه الألغاز ، فقد قرر مدير البوليس أن ينفض يديه أولا من الموضوع الذي ضرب الساعة الخامسة موعدا لاصحاب الشأن فيه .

قال للسكرتير : لا يجب ان استبقي اولئك الخمسة أكثر من ذلك مر الخادم بادخالهم .. واذا عاد المفتش فيرو خلال هذا الاجتماع كما هو منتظر ، فانبئني في الحال .. أريد أن أراه بأسرع ما يمكن .. ولكني لا أسمح بازعاجي لأي شأن آخر .. هل فهمت ؟

وبعد دقيقتين .. أدخل الخادم الاستاذ ليبرتاس مسجل العقود ثم مستر ارشيبالد برايت سكرتير المفوضية الامريكية . ثم السنيور كازيرس الملحق بمفوضية بيرو

وكان مدير البوليس يعرف هؤلاء الثلاثة حق المعرفة ، فرحب بهم أيما ترحيب . ولم يتركهم إلا ليستقبل الكونت داسترىناك ..

وهو من الضباط الفرنسيين الذي أبلوا في مراكش أحسن البلاء وأصيب هناك من الجروح بما ادي الي احالته الي التقاعد رغم انه لايزال في مقتبل العمر .

وفتح الباب أخيرا ، ودخل رجل متوسط القامة ، نحيفها ، يزين صدره وسام (اللجيون دونور) وتبدو علي وجهه أمارات الفتوة تقدم اليه مدير البوليس وهو يقول :

❁ الدون لويس بيرينا .. اليس كذلك ؟

فاجاب القادم : نعم يا سيدي

فهتف الكونت داسترين‌اك

❁ اهذا انت يا برينا ؟ الا زلت علي قيد الحياة ؟

فهتف برينا بدوره : ضابطي العزيز .. ما اعظم سروري بلقياك

❁ برينا حي يرزق ؟! هذا عجيب انني عندما غادرت مراكش يا برينا .. كنت انت مفقودا .. وقد انقطعت انباؤك وقيل انك هلكت

❁ لم اهلك يا سيدي الكونت . ولكني وقعت في اسر رجال القبائل واستطعت الفرار

وأثناء هذا الحديث .. كان مدير البوليس يصعد الدون برينا بنظراته الفاحصة . وقد اعجبته ابتسامته السارة وتقاطيعه الدقيقة .. ومخائل الذكاء والقوة التي تبدو في ملامح وجهه الذي لفحته الشمس .

طلب مدير البوليس الي زائريه أن يجلسوا حول مكتبه ، ثم تحدث اليهم فقال :

" قد يخيل اليكم ايها السادة أن الغرض من هذا الاجتماع يلابسه شيء من الغموض ، وقد يبدو لكم متي سمعتم حديثي ، انني لم ازدكم إلا حيرة ودهشة ، ولكن الواقع غير ذلك ايها السادة ومتي احطتم بالموضوع وألممتم بكل نواحيه ، وجدتموه طبيعيا وبسيطا غاية البساطة ."

ثم فتح ملف الاوراق الذي وضعه سكرتيره علي مكتبه واستطرد مستعينا في كلامه بما تضمنه الملف :

قبل الحرب بين فرنسا والمانيا ، كانت ثلاث اخوات يتيمات هن هرملين واليزابيث وارماندا روسل ، يعشن مع ابن عم لهن يدعي فيكتور ، في منزل بسان اتيان .

وقد حدث ان كبري الاخوات الثلاث وهي هرملين ، تركت سان اتيان وسافرت الي لندن مع رجل انجليزي يدعي مورننجتن ، مالبثت أن اقترنت به ، ورزقت منه بغلام اسمته (كوزمو)

وقد مرت بالزوجين وطفلهما ظروف عصيبة حتي ان هرملين كتبت مرارا الي شقيقتيها تسألهما معونة مالية ولكنها لم تتلق منهما رداً ، فكفت عن الكتابة اليهما ، وبعد خمسة اعوام تقريبا رحل مورننجتن وزوجته الي امريكا ، واستطاعا خلال الاعوام التالية أن يجمعا ثروة طائلة ثم توفي مورننجتن وترك كل ثروته لزوجته ، وكانت امرأة موهوبة تعرف كيف تستثمر اموالها ، وقد نجحت في مضاعفة ثروتها ، ولما توفيت تركت لولدها ثروة تقدر بمبلغ ٤٠٠ مليون فرنك. وقد سمع القوم هذا الرقم الضخم وظهرت علي وجوههم علامات الدهشة .

ولاحظ مدير البوليس أن الكونت داستريناك وبرينا تبادلا نظرة ذات معني ، فقال للأول :

* انك كنت تعرف كوزمو مورننجتن يا سيدي الكونت .. اليس كذلك ؟

فأجاب الكونت :

* نعم ، قابلته في مراكش ، حين كنت وبرينا نقاتل هناك .

فقال مدير البوليس :

* الواقع أن كوزمو مورننجتن كان محبا للاسفار والرحلات ، وقد قيل لي انه عني كذلك بدراسة الطب ، وقضي ردحا من الزمن في الشرق متنقلا بين مصر وبلاد الجزائر

ومراكش ، ثم سافر الي امريكا في أبان الحرب الكبري ، وعاد الي باريس بعد الهدنة ، وظل يقيم بها حتي توفي منذ أربعة أسابيع بسبب حادث تافه .

فقال سكرتير المفوضية الامريكية :

❁ الواقع ان المفوضية اخطرت والصحف نشرت انه مات إثر (حقنة) في غير موضعها .

فقال مدير البوليس :

❁ نعم ، لأن الرجل أصيب بالانفلونزا ، وشفي منها فنصح له طبيبه بأن يحقن بمادة (جليسو فوسفات الصودا) ليسترد قوته بعد المرض الطويل الذي انهك قواه ، ولما كان شغوفا بصناعة الطب ، فقد راح يحقن نفسه بنفسه ، ولكن حدث اخيرا انه لم يتخذ جميع أسباب الوقاية الضرورية ، وكانت النتيجة ان موضع وخز (الابرة) في ساعده تسمم بسرعة مدهشة ، وحدثت الوفاة خلال ساعات معدودة قبل ان يتمكن الاطباء من عمل شيء لإسعافه وإنقاذه .

قال مدير البوليس ذلك ونظر الي مسجل العقود وسأله :

❁ اليس ذلك ما حدث يا أستاذ ليبرتاس ؟!

❁ نعم .. نعم .. تماما .

قال مدير البوليس :

❁ وقد جاءني الاستاذ ليبرتاس غداة يوم الوفاة وانبأني بأن كوزمو مورننجتن وضع وصيته بين يديه قبل وفاته .

وشرع مدير البوليس يبحث بين أوراق الملف ، فانتهز مسجل العقود فرصة صمته وقال :

❁ ليسمح لي سيدي مدير البوليس بتحديد بعض النقط ، فأقول انني لم ار مستر مورننجتن إلا مرة واحدة قبل أن يكل الي امر وصيته، وتلك كانت في بداية اصابته بالانفلوانزا .. فقد دعاني اليه ، واسر الي انه مهتم بالبحث عن افراد اسرته وانه قام فعلا ببعض الابحاث وينوي المضي في ابحاثه بعد ابلاله من مرضه .

واخرج مدير البوليس من الملف غلافا ، أخذ منه ورقتين بسط بين يديه أكبرهما حجما . وقال :

❁ ها هي الوصية .. فأرجو أن تصغوا بامعان الي مضمونها وكذلك الي مضمون هذه الورقة الثانية التي تعتبر ملحقا للوصية .

وراح يقرأ في الوصية مايلي :

" انا الموقع علي هذا كوزمو مورننجتن ابن هيروبرت مورننجتن وهيرملين روسل والمتجنس بالجنسية الامريكية أوصي لبلادي بنصف ثروتي لانفاقها في اعمال البر والخير . وفقا للتعليمات

التي كتبتها بخطي وحفظتها لدي الاستاذ ليبرتاس لكي يسلمها الي السفارة الامريكية في يوم وفاتي ."

" أما النصف الباقي من ثروتي وقدره ٢٠٠ مليون فرانك تقريبا موزعة في بنوك باريس ولندن وفقا لقائمة لدي الاستاذ ليبرتاس .. هذا النصف أتركه لخالتي اليزابيث روسل . التي كانت أحب أخوات أمي اليها . فاذا لم تكن علي قيد الحياة فلأولادها وذراريهم . وإلا فلخالتي الثانية أرمندا روسل وأولادها وذراريها من بعدها . وإلا فلابن عمها فيكتور ولأولاده وذراريه من بعده "

" وإذ حدث وأدركتني الوفاة قبل أن أعثر بمن بقي علي قيد الحياة من أفراد أسرة روسل . أو أبن عم والدتي المدعو فكتور فانني أكلف صديقي الدون لويس برينا بالقيام بجميع الابحاث الضرورية للعثور عليهم ولذلك فانني أجعله منفذا للجانب الاوروبي من وصيتي . وأرجوه الاضطلاع باعباء الحالة التي تنشأ عن وفاتي . وبأن يعتبر نفسه ممثلا لي في تنفيذ ارادتي . واعترافا بجهوده .. وبفضله في انقاذ حياتي مرتين . فانني اوصي له بمبلغ مليون فرانك من ثروتي "

وهنا صمت مدير البوليس . فغمغم الدون لويس قائلا :

❁ مسكين صديقي كوزمو .. إنني في الواقع لم أكن بحاجة

الي مبلغ مليون فرانك لكي أعمل علي تنفيذ إرادته الاخيرة .

واستطرد مدير البوليس قراءة الوصية : " فاذا انقضت ثلاث شهور علي وفاتي ولم تكلل أبحاث الدون لويس برينا أو الاستاذ ليبرتاس بالنجاح .. أو اذا لم يكن قد بقي من أسرة روسل علي قيد الحياة من يجوز له الاستيلاء علي ميراثي فانني اوصي بمبلغ المائتي مليون فرانك لصديقي الدون لويس برينا .. فيصبح هذا المبلغ كله من حقه ، ولا يجوز بعدئذ مطالبته بشيء مهما حدث ومهما كانت الظروف .. وأنا أعرف عن صديقي وعن نبل خلقه انه سيستخدم هذه الثروة في خير وجوه الاستخدام . وانه سيعمل بها علي انفاذ مشروعاته الانسانية النبيلة التي طالما حدثني عنها بحماسة شديدة تحت الخيام في مراكش "

وكف مدير البوليس عن القراءة مرة أخري . ونظر الي برينا .. ولكن هذا لزم الصمت ورأي القوم دمعة كبيرة تتدحرج علي خده

قال الكونت داسترىناك : ✿ دعني أهنئك يا برينا .

فأجاب برينا :

✿ أنت تري ياسيدي الكونت ان هذه الهبة مقيدة بشرط، ولكن ثق أنني أتمني من كل قلبي أن أوفق في العثور علي أعضاء أسرة روسل .

فقال مدير البوليس :

❁ مهما يكن من أمر فليس في نيتك أن ترفض هذا الميراث لأنه مقيد بشرط ؟

فضحك برينا وقال :

❁ كلا طبعا .. هناك أشياء لا يرفضها الانسان .

فقال مدير البوليس :

ان السؤال الذي القيته عليك في التو واللحظة يتصل اتصالا وثيقا بالفقرة الاخيرة من الوصية . وها هي الفقرة :

" واذا رفض صديقي الدون برينا هذا الميراث لسبب من الاسباب أو اذا توفي قبل الاستيلاء علي الميراث . فانني ارجو سفير الولايات المتحدة الامريكية ومدير بوليس باريس أن يتفقا علي افضل الوسائل لاستخدام ثروتي في انشاء جامعة خاصة للطلاب والفنانين ذوي الجنسية الامريكية ."

وطوي رئيس البوليس الوصية . وتلا في الوثيقة الملحقة بها مايلي :

" اريد الاستاذ ليبرتاس علي ان يقوم بفتح وصيتي غداة وفاتي . وذلك بحضور مدير البوليس الذي ارجو ان يكتم امر الوصية شهراً كاملاً فاذا انقضي هذا الشهر يوما بيوم . فارجو

من مدير البوليس ان يتفضل فيدعو الي مكتبه احد ذوي الشخصيات الهامة في المفوضية الامريكية . والاستاذ ليبرتاس مسجل العقود . والدون لويس برينا . وبعد ان يتلو عليهم محتويات الوصية . يسلم الي الدون برينا صديقي ومنفذ وصيتي تحويلاً ماليا بمبلغ مليون فرنك وذلك بعد التحقق من الاوراق التي تثبت صحة شخصيته . واحب ان يكون التحقق من شخصيته بواسطة الكونت داستريناك الذي كان ضابطه الاعلي في مراكش والذي اضطر لسوء الحظ الي ترك الخدمة مبكراً .. اما التحقق من صحة اوراقه الشخصية فيكون بواسطة شخصية محترمة في مفوضية (بيرو) ...لان الدون برينا وان يكون اسباني الجنس .. الا انه ولد في (بيرو)

" واطلب كذلك الا يعلم احد من افراد اسرة روسل بمضمون هذه الوصية الا بعد يومين من تلاوتها في مكتب مدير البوليس واشترط ان يكون اطلاع الورثة من اسرة روسل عليها في مكتب الاستاذ ليبرتاس مسجل العقود .

" واطلب فيما يختص بتوزيع ثروتي علي الورثة ان يدعو مدير البوليس الي مكتبه في المرة الثانية الاشخاص الذين قرأ الوصية علي مسمع منهم في المرة الاولي بشرط ان توجه اليهم هذه الدعوة خلال المدة بين اليوم الستين واليوم التسعين بعد الاجتماع الاول .

" وعندئذ فقط يعلن اسم الوريث أو الورثة .. ويحدد نصيبه من الميراث وفقا لحقه .. ولن يكون الوريث وريثا الا اذا اشترك في هذا الاجتماع . ويتعين أن يشترك في هذا الاجتماع كذلك الدون برينا .. الذي سيصبح الوريث الأوحد اذا لم يتقدم احد من اسرة روسل أو اسرة فكتور للاستيلاء علي الميراث "

قال مدير البوليس بعد ان فرغ من قراءة الوصية :

❁ هذه هي وصية كوزمو مورننجتن وهذا هو السبب في دعوتكم الي هذا الاجتماع ايها السادة

وقد شرعت فعلا في تنفيذ اولي رغبات المتوفي .. ففحصت الاوراق التي قدمها الي الدون لويس برينا منذ اسبوعين بناء علي طلبي ووجدتها مستوفاة وزيادة في الاحتياط قد طلبت الي وزير بيرو المفوض التحقق من اصل الدون برينا ونسبه

فقال السنيور كازيرس :

❁ لقد انتدبني وزير بيرو المفوض لهذه المهمة . ولم يكن أيسر ادائها . فالدون برينا منحدر من أسرة اسبانية عريقة هاجرت من اسبانيا منذ ثلاثين سنة . ولكنها محتفظة باملاكها فيها .

وقد عرفت والد الدون برينا في امريكا . ومفوضية (بيرو)

هي التي اخطرت الدون لويس منذ خمسة اعوام بوفاة أبيه .. وها هي صورة الخطاب الذي ارسل اليه في مراكش بهذا المعني .

فقال مدير البوليس :

- وها هو الخطاب ذاته .. قدمه اليّ الدون لويس برينا .. والآن يا سيدي الكونت . هل تعرف الدون برينا الذي كان يقاتل تحت امرتك في مراكش ؟!

فأجاب الكونت داسترينياك :

- نعم اعرفه . ها هو .. وأشار الي برينا

فقال مدير البوليس وهو يبتسم :

- هل تعرف في الدون برينا ذلك الجندي الذي كان زملاؤه يدعونه (ارسين لوبين) من فرط اعجابهم به ؟!
- نعم يا سيدي . كان زملاؤه يدعونه " ارسين لوبين " . أما ضباطه ورؤساؤه فكانوا يدعونه " البطل " .

قال مدير البوليس :

- لي سؤال آخر يا دون برينا . كيف أقامك كوزمو مورننجتن منفذا لوصيته .. مع أنك - كما فهمت من هذا التقرير الذي تحت يدي - قضيت أربعة أعوام مختفيا .. أو سجينا بين أيدي رجال القبائل ؟؟

فأجاب برينا :

❁ انني كنت أتراسل مع كوزمو مورننجتن .. وقد أخطرته بأنني أعد العدة للفرار والعودة الي باريس .

❁ ولماذا اسماك زملاؤك " ارسين لوبين "؟! لأن الحروف التي يتكون منها أسمك هي ذات الحروف التي يتكون منها اسم ارسين لوبين ؟!

❁ ربما .. ولكن هناك سببا آخر . هو انني وفقت في العهد الذي اعلنت فيه الصحف مصرع ارسين لوبين الي اماطة اللثام عن حادث سرقة عجيب كان ضحيته كوزمو مورننجتن الذي كان يقيم وقتئذ في (حوران). وقد بدأت صداقتنا منذ ذلك العهد .

ثم هز برينا رأسه واستطرد :

❁ مسكين صديقي كوزمو .. لقد كان دائما يشعر شعورا غامضا بأنه سيموت مقتولا .. وكثيرا ما قال لي : " هل تقسم بأن تنتقم لي اذا مت مقتولا يابرينا ؟ "

فقال مدير البوليس :

❁ ولكن شعوره لم يكن في موضعه فانه لم يمت مقتولا كما كان يتوهم ؟

❁ انك مخطيء يا سيدي .

❁ ماذا تعني ؟ هل تريد أن تقول أن كوزمو ...

فقاطعة برينا :

❁ أريد ان أقول أن صديقي كوزمو مورننجتن لم يمت متسمما من حقنة ملوثة كما يعتقد الجميع .. ولكنه مات مقتولاً .

❁ هذا التصريح علي خطورته لا ينهض علي دليل أو أساس ياسيدي

❁ انه ينهض علي الحقيقة .

❁ هل كنت موجودا ساعة وفاته ؟ هل تعلم شيئا عن حادث موته ؟

❁ أنا لم اكن موجودا بباريس في الشهر الماضي . بل ولم أكن اقرأ الصحف بانتظام . فلم أعلم بنبأ وفاة كوزمو مورننجتن إلا منك أنت .

❁ ما دام الامر كذلك فانك لاتعلم ما أعلمه أنا .. ويتعين عليك أن تطلع علي تقرير الطبيب الشرعي لتعرف كيف توفي صاحبك .

❁ يؤسفني أن أقول أن تقرير الطب الشرعي لا يتضمن كل شيء .

❁ هل لديك دليل علي صحة نظريتك .

❁ نعم .

❁ ما هو ؟

❁ كلامك يا سيدي .

❁ كلامي !

❁ نعم .. فقد قلت في حديثك أن مورننجتن كان من هواة الطب وقد برع في هذه الصناعة ..

ثم قلت بعدئذ إنه حقن نفسه حقنة لم يتخذ معها اجراءات الوقاية الضرورية فحدث التهاب فتسمم وكانت الوفاة .

❁ هذا صحيح .

❁ اذن كيف يمكن لشخص حذق صناعة الطب . أن يخطئ مع نفسه .. ويهمل في اتخاذ وسائل الوقاية والتطهير اللازمة .

انني رأيت صديقي كوزمو وهو يعالج الجرحي والمرضي في مراكش ولهذا لا أصدق أن وفاته كانت للسبب الذي ذكرت

❁ اذن ؟؟

❁ اذن يكون الطبيب قد كتب شهادة الوفاة كما يفعل جميع الاطباء حين لا يجدون ما يثير شبهتهم .

❁ ومعني ذلك ؟؟

فلم يجب برينا علي هذا السؤال . بل تحول الي مسجل العقود وسأله :

❁ عندما دعيت الي بيت كوزمو مورننجتن والرجل علي فراش الموت .. هل لاحظت شيئاً غير عادي ؟

❁ كلا .. كان مورننجتن يحتضر .

❁ اليس من العجيب أن يكون لتلوث الحقنة مثل هذا التأثير السريع ؟ هل كان الرجل يتألم ؟

❁ كلا .. أو علي الاصح . لا أعلم علي وجه التحقيق .. بيد انني رأيت علي وجهه بقعا قاتمة لم أرها عند ما قابلته أول مرة .

❁ بقع قاتمة ! ذلك يؤيد نظريتي .. لقد مات كوزمو مورننجتن مسموما .

فهتف مدير البوليس : كيف ؟

فأجاب برينا :

❁ بمادة سامة وضعت في أنبوب (الجليسروفوسفات) أو لوثت بها الابرة التي استعملها .. ولكن حدثني يا أستاذ ليبرتاس هل لفت نظر الطبيب الي البقع القائمة التي رأيتها ؟

❁ نعم .. ولكنه لم يعلق عليها اية أهمية .

❁ هل كان هو طبيبه الخاص ؟

❁ كلا .. طبيبه الخاص كان مريضا .

فبحث مدير البوليس في الملف الذي بين يديه ثم قال :

❁ ان الطبيب الذي اوقع الكشف الطبي . وكتب شهادة الوفاة هو الدكتور بيلافوان . وعيادته بشارع استروج رقم ١٤ .

فسأله برينا :

❁ هل لديك دليل بأسماء الاطباء يا سيدي ؟؟

فناوله مدير البوليس الدليل المطلوب . وشرع برينا يتصفحه وقضي في ذلك دقائق . ثم قال أخيرا :

❁ لا يوجد طبيب باسم (فلافوان) .. ولا يقيم بشارع استروج أي دكتور .

وهنا ساد صمت عميق . ونظر القوم جميعا الي الدون برينا في اعجاب ودهشة .

قال مدير البوليس :

❁ هذه ملابسات غاية في الغرابة .. بقع قاتمة علي وجه المتوفي .. وطبيب لا وجود له .. ان المسألة جديرة بالبحث العميق .. هل تعتقد يادون برينا أن هناك صلة بين الجريمة ووصية مورننجتن !

❁ هذا ما أجهله .. هل تظن أن هناك من يعلم بأمر هذه الوصية يا استاذ ليبرتاس ؟

❁ لا أظن ذلك .. فقد خيل الي أن مورننجتن يحيط أعماله بالتكتم الشديد .

❁ ألا يمكن أن يكون أحد موظفي مكتبك قد عبث بهذه الوصية ؟

❁ وكيف يستطيع العبث بها ؟ انني أضع أمثال هذه الوثائق في خزانة لايمس مفتاحها أحد سواي . ثم انني اراجع هذه الوثائق واستوثق من وجودها في كل مساء .

❁ الم يعبث أحد بالخزانة ؟

❁ كلا ..

❁ هل رأيت كوزمو مورننجتن صباحا ؟

❁ نعم رأيته في صباح يوم جمعة .

❁ ماذا فعلت بالوصية من الصباح حتي المساء .. أي منذ تناولت الوصية إلي أن وضعتها في خزانتك ؟

❁ اظن انني وضعتها في درج مكتبي .

❁ الم يحدث اعتداء علي هذا الدرج ؟ اعني ألم يفتح هذا الدرج عنوة ؟ فوجم مسجل العقود ولم يجب ؟

هتف برينا : اجبني ..

❁ آه .. نعم .. اذكر انه حدث شيء .. في ذلك اليوم .

❁ هل انت واثق .

❁ عندما عدت الي مكتبي بعد تناول طعام العشاء .. لاحظت أن الدرج غير مقفل بالمفتاح . فأقفلته دون أن يتطرق الي شك .. ولم اعلق علي هذا الحادث يومئذ اية اهمية .. أما الآن .. اما الآن ..

وهكذا ثبتت في التو واللحظة نظرية الدون برينا .

قال مدير البوليس وقد ادهشه تطور الموقف بهذه السرعة :

❁ ثق يا سيدي انني سأشرع في الحال في مقارنة استنتاجاتك بالمعلومات التي وقف عليها مفتش البوليس الذي كلفته

بدراسة هذه القضية والبحث عن الورثة .. ولكن صبرا تذكرت الآن ... لقد تحدث هذا المفتش الي سكرتيري عن جريمة قتل ارتكبت منذ شهر بالضبط .. ومنذ شهر بالضبط توفي كوزمو مورننجتن ...

قال ذلك وضغط علي زر امامه فأقبل السكرتير مسرعا

سأله مدير البوليس :

- أين المفتش فيرو ؟
- لم يعد يا سيدي
- ابحثوا عنه .. جيئوا به .. أريد أن يؤتي به في الحال ...

ثم تحول الي الدون برينا وقال له :

- منذ ساعة تقريبا .. أقبل المفتش فيرو وهو في حالة اضطراب واعياء شديدين وقال لسكرتيري إن هناك من يطارده .. ويتعقبه .. وانه ينوي الافضاء الي بمعلومات غاية في الخطورة بشأن الموضوع الذي كلفته به .. وهو موضوع ميراث مورننجتن .. وذكر ضمنا ان جريمة قتل مزدوجة سترتكب الليلة .. وأن هذه الجريمة المزدوجة .. هي نتيجة او مكملة لجريمة قتل مورننجتن
- هل كان في حالة سيئة ؟

❁ أظن ذلك .. وأعتقد انه شديد الانزعاج والخوف . بدليل انه رأي من الحكمة أن يسجل معلوماته في رسالة تركها لي .. ولكنه وضع في الغلاف ورقة بيضاء عوضا عن الرسالة .. واليك الغلاف والورقة البيضاء .. واليك كذلك الصندوق الذي تركه لي وهو يحتوي علي قطعة شيكولاتة عليها طابع أسنان

فتناول الدون برينا الغلاف والصندوق وقرأ الاسم الذي كتب علي كل منهما . ثم قال ببساطة :

❁ ان الخط الذي كتب به عنوان الرسالة يختلف عن الخط الذي كتب به العنوان علي الصندوق

❁ ومعني ذلك ؟

❁ ومعني ذلك أن مفتش البوليس لم يكتب عنوان هذه الرسالة .. والمرجح انه بعد ان كتب الرسالة في مقهي (الجسر الجديد) غافله بعض الناس واستبدلها برسالة اخري هي عبارة عن غلاف عليه عنوان المقهي وبداخله ورقة بيضاء ..

❁ هذا مجرد افتراض ..

❁ بل انه اكثر من مجرد افتراض .. ان عنوان الصندوق كتب

بيـد ثابتـة .. هادئة .. أمـا الخط الذي كـتب به عنوان الرسالة فمضطرب ويدل علي أن كاتبه عمد الي التقليد

ومن كل هذا أفهـم ان مفتش البوليس محق في تشاؤمه وانه كـان في الحق مـوضع رقـابة ومطاردة وان وقـوفـه علي بعض معلومات خاصـة بميراث مـورننجتن قـد أزعج أناسا لهم اغراض اجرامية .. وان هذا المفتش مستهدف حقا لاخطار ماحقة

فهتف مدير البوليس : هل هذا ممكن ؟

واستطرد الدون برينا : وفي هذه الحالة يجب العمل علي نجدته بأسرع ما يمكن يا سيدي ، انني اشعر منذ بداية هذا الاجتماع باننا حيال مؤامرة جنائية واسعة النطاق وقد بدئ في تنفيذها فعلا ولذلك ارجو من كل قلبي أن ننقذ مفتش البوليس قبل فوات الوقت .. وإلا يصبح هذا المسكين أول ضحايا هذه المؤامرة الخطيرة ..

فضرب مدير البوليس الأرض بقدمه وقال :

❁ يا لله .. ألا يأتي فيرو

ثم دعا خادمه . وسأله :

❁ هل أنت واثق ان فيرو عاد الي هذه الغرفة بعد انصرافه منها ؟

❁ واثق كل الثقة

❁ ولم يخرج مرة أخري ؟

❁ كلا ..

❁ الم تغفل لحظة ؟ الم تترك مكانك بالباب ؟

❁ كلا ..

فقال الدون برينا :

❁ مادام الرجل دخل الغرفة ولم يخرج منها .. فهذا دليل علي أنه لا يزال هنا ..

❁ تعني انه مختبئ هنا !؟

❁ ربما كان الرجل في حالة اغماء ..

❁ ولكن اين ؟

❁ الي أين يؤدي هذا الباب ؟

❁ الي غرفة السكرتير !

❁ وهذا الباب المجاور له ؟

❁ هذا الباب يؤدي الي غرفة صغيرة لحفظ الملفات

❁ لا يبعد أن يكون حال الرجل قد ساء فأراد الوصول الي

غرفة السكرتير .. ولكنه اخطأ .. أو كان في حالة ذهول لا تسمح له بأن يميز الاشياء .. فعرج علي غرفة الملفات

فأسرع مسيو ديماليون الي غرفة الملفات .. ولم يكد يفتح بابها حتي جمد في مكانه .. هتف فجأة : فيرو .. فيرو ..

وعندئذ هجم القوم في اثره فرأوا جسما ممدا في ارض الغرفة تعاونوا علي حمله الي احد المقاعد ..

كان قلب الرجل لا يزال ينبض .. ولكن بضعف شديد . وكان الزبد يعلو شدقيه . وقد زاغت عيناه فأشار الدون برينا الي وجهه وقال محدثا مدير البوليس :

❁ انظر يا سيدي .. تأمل هذه البقع القاتمة التي تشوه الوجه

وانطلق بعض الموجودين الي الباب يطلبون النجدة .. وصاح مسيو ديماليون :

❁ جيئوا بطبيب .. بأي طبيب ..

فقال الدون لويس بصوت خافت :

❁ أعتقد أنه لم تعد ثمة فائدة من دعوة الطبيب .. فقد فات اوان انقاذه ولكن يجب الافادة من لحظاته الأخيرة ..

وانحني فوق فيرو وأسند رأسه الي الوراء وقال له بصوت هادئ :

❁ فيرو .. ان مدير البوليس يريد أن يقف منك علي بعض المعلومات بشأن الجريمة التي سترتكب الليلة .. هل تسمعني يا فيرو ؟ اذا كنت تسمعني فأغمض عينيك

فتحركت أهداب الرجل ببطء وأغمض عينيه ..

هتف الدون لويس :

❁ نحن نستنتج انك لابد قد عثرت على بعض الورثة وان اثنين من هؤلاء الورثة مهددان بالموت ولكننا نجهل اسميهما فارشدنا اليهما

وأخرج من جيبه قلما وضعه بين أصابع فيرو .. ووضع أمامه قطعة من الورق واستطرد :

❁ ارشدنا الي اسمي الوريثين المهددين .. اكتب لنا اسميهما عسي ان نتمكن من انقاذهما ..

وراح ومدير البوليس ينظران بحدة .. وتهلل وجهاهما حين رأيا القلم يتحرك ببطء

سجل القلم علي الورق هذين الحرفين (فو ..)

ثم سقطت يد الرجل فوق الورقة وسقط رأسه فوق صدره . وعندما هزه الدون وجده قد فارق الحياة .

حدثت هذه المأساة بسرعة غريبة تركت القوم في فزع وذهول

هز مدير البوليس رأسه وقال :

* مسكين هذا الرجل .. انه قضي في سبيل الواجب

فسأله برينا في قلق :

* هل كان متزوجا ؟ هل له أولاد ؟

* نعم .. انه مزوج وله ثلاثة أولاد

فقال برينا ببساطة :

* سأعني بأمرهم

وأقبل احد الاطباء وفحص الجثة .. وأصدر مدير البوليس أمره بنقل جثة فيرو الي غرفة أخري ، ثم انتحي بالطبيب ناحية وسأله :

* هل تعتقد ان الرجل مات مسموماً ؟

* ليس ثمة شك في ذلك .. أنظر الي قبضة يده اليمني .. ألا تري اثر وخزة ابرة .. تحيط بها دائرة ملتهبة ؟

* تعتقد اذن انه وخز بابرة مسمومة ؟

❁ نعم .. او بدبوس . ولم تكن الوخـزة قـوية . ولذلك لم تحدث الوفاة بسرعة .

ووجد الملحق بمفوضية بيرو وكذلك سكرتير المفوضية الامريكية والكونت داستريناك ومسجل العقود انه لم يعد ثمة ما يستلزم بقاءهم فانصرفوا .. ولم يبق غير مدير البوليس والدون لويس برينا .

قال الاول وهو يلوح في يده بالورقة التي كتب عليها فيرو قبل وفاته الحرفين (فو..)

❁ ماذا تفهم من هذين الحرفين يا دون برينا ؟

فتناول برينا الورقة . ونظر فيها الي الحرفين ثم قال :

❁ لا شك ان احد الشخصين المهددين بالموت يبدأ اسمه بحرف الفاء ...

❁ والدليل علي ذلك ؟!

❁ والدليل علي ذلك ان فيرو كتب حرف الفاء مكبراً ..

ولم يكد الدون برينا يفرغ من كلامه حتي فتح الباب واقبل الخادم وبيده بطاقة قدمها الي مدير البوليس وهو يقول :

❁ هذا الرجل يلح في طلب مقابلتك يا سيدي ويؤكد انه قادم لامر علي جانب عظيم من الخطورة .

فتناول مسيو ديماليون البطاقة وقرأ فيها :

هيبوليت فوفيل

مهندس

رقم ١٤ شارع سوشيه

هتف مدير البوليس :

❁ لقد شاءت المقادير ان تضع بين ايدينا جميع خيوط القضية انظر ، ها هو رجل يبدأ لقبه بحرف (الفاء) فوفيل .

ودخل المهندس علي الاثر وهو ممتقع اللون ، تبدو عليه علامات الانزعاج الشديد

صاح : اين المفتش فيرو ! هل مات حقا ؟ قيل لي انه ..

فقاطعه مدير البوليس :

❁ نعم يا سيدي ، انه مات

فهتف الرجل :

❁ وا أسفاه .. لقد جئت متأخراً .. جئت متأخراً .. فويل للاشقياء ..

كانت جميع الدلائل تدل علي انه مخلص في حزنه مخلص في تفجعه سأله مدير البوليس :

❁ عمن تتكلم يا سيدي ؟ عن اولئك الذين قتلوا المفتش فيرو ؟ هل تستطيع ان ترشدنا اليهم .

فهز الرجل رأسه وأجاب :

❁ كلا .. كلا لا فائدة من ذلك الآن .. ان الادلة التي تحت يدي لاتكفي .. ثم استطرد معتذرا :

❁ أرجو المعذرة ياسيدي إذا كنت قد أزعجتك ولكني رجوت أن ينجو المفتش فيرو ، ولو قد بقي علي قيد الحياة لكانت شهادته مصداقا لاقوالي .. ولكن تري هل أنذر بشيء .

فأجاب مدير البوليس :

❁ نعم .. انه انذر بجريمة قتل مزدوجة قال انها ستقع الليلة .

فهتف المهندس فوفيل :

❁ الليلة !!! ولكن لا .. هذا مستحيل ، انهم لا يستطيعون الفتك بي الليلة .. انهم لم يستعدوا بعد .

❁ ان الفتش فيرو أكد ان الجريمة المزدوجة سترتكب الليلة ..

❁ كلا يا سيدي .. انني أدري منه بذلك .. لأنني أحد الاثنين اللذين يراد الفتك بهما . لقد أخطأ فيرو فالجريمة المزدوجة سترتكب غداً .. وقد أعددنا لهم فخا اذا جاءوا وقعوا فيه ويل للاشقياء .

وهنا اقترب منه الدون لويس وسأله :

❁ هل كانت والدتك تدعي اليزابيث روسل ؟؟

فأجاب المهندس :

❁ نعم .. انها كانت تدعي اليزابيث روسل ولكنها توفيت .

❁ هل نشأت والدتك في سان اتيان ؟

❁ نعم .. لماذا هذه الاسئلة ؟؟

❁ سيوضح لك مدير البوليس كل شيء فيما بعد .. لي سؤال آخر وفتح الصندوق الصغير ، وأخرج منه قطعة الشيكولاتة وسأله :

❁ هل تفهم من هذه شيئا .. وهل لهذه الاثار معني ؟

فصاح المهندس :

❁ يا للفضيحة .. أين وجد مفتش البوليس هذه ؟

خانته قواه ولكنه عاد فتشدد ومضي نحو الباب وهو يقول :

❁ سأعود الآن من حيث أتيت يا سيدي .. ولكني سأقابلك صباح غد واكشف لك عن كل شيء وبيدي جميع الأدلة والبراهين .. وعلي رجال العدالة والقانون بعدئذ أن

يتولوني بالحماية . إنني عليل حقا .... ولكني أريد أن أعيش .. ومن حقي وكذلك من حق ولدي أن نعيش قال ذلك .. وانصرف وهو يتلفت حوله كمن به مس .

وما كاد يتواري عن الانظار حتي هتف مدير البوليس :

❁ يجب ان أضع هذا الرجل تحت الرقابة

وتناول السماعة ليصدر أمراً تليفونيا . ولكن برينا بادره بقوله :

❁ سيدي انني استحلفك أن تخولني السلطة فاتولي تحت اشرافك تحقيق هذه القضية واماطة اللثام عن اسرارها وغوامضها .

ان وصية صديقي كوزمو مورننجتن تحتم علي .. بل تخولني حق الاضطلاع بهذه المهمة . ان اعداء المهندس فوفيل علي جانب عظيم من الجرأة والمهارة .. وسيكون من دواعي سروري أن ارابط الليلة في بيته لانتظارهم . وحمايته منهم

فتردد مدير البوليس لحظة .. ولا شك انه لم يفكر وقتئذ في أن من مصلحة الدون برينا ألا يظهر أحد من ورثة مورننجتن .. وألا يبقي احد من هؤلاء الورثة علي قيد الحياة ليقاسمه الميراث ..

صعد الدون برينا بعينيه وشعر بأن تقاطيعه النبيلة توحي بالثقة والطمأنينة دق الجرس فاقبل سكرتيره . سأله :

❁ هل يوجد هنا الآن أحد من مفتشي البوليس !؟

❁ نعم .. يوجد المفتش مازيرو ..

❁ دعه يحضر

ثم تحول الي برينا وقال له :

❁ ان المفتش مازيرو هو رجل علي جانب كبير من المهارة والذكاء وفي استطاعتك أن تصطحبه معك .. فإنك تفيد منه كثيرا

وفتح الباب .. ودخل المفتش مازيرو . وهو رجل قصير القامة ممتلئ الجسم . وقد بادره مدير البوليس بقوله :

❁ يا مازيرو .. لابد قد اتصل بك نبأ وفاة زميلك المفتش فيرو والظروف المزعجة التي حدثت فيها الوفاة . والواجب يقضي بالانتقام له والحيلولة دون وقوع حوادث أخري

ثم أشار الي الدون لويس برينا واستطرد :

❁ هذا السيد يعرف الحوادث التي نحن بصددها . وسيوضحها لك بالتفصيل . وعليك ان تعمل بالاتفاق معه . وأن تقدم لي تقريرك غدا صباحا

وهكذا اطلق مسيو ديماليون يد الدون برينا .. قال هذا :

❁ اشكرك يا سيدي .. انني واثق من انك لن تندم في المستقبل علي ثقتك بي

وشد علي يد مسيو ديماليون .. وانصرف برفقة مفتش البوليس مازيرو .

وفي الطريق قص الدون لويس برينا علي مفتش البوليس تفاصيل حكاية ميراث مورننجتن .. مصرع فيرو .. والخطر الذي يهدد المهندس فوفيل وولده ، وتم الاتفاق بين الاثنين علي أن يعرجا أولا علي مقهي (الجسر الجديد) ليستفسرا عما فعله المفتش فيرو في صباح ذلك اليوم .

وهناك علما ان فيرو كان من زبائن المقهي . وأنه زاره حقا في صباح ذلك اليوم . وكتب رسالة مطولة ... وقال احد خدم المقهي ان رجلاً آخر دخل المقهي عقب فيرو مباشرة .. وجلس علي طاولة قريبة من تلك التي جلس عليها فيرو .. وطلب مثله ورقا للكتابة وغلافين صفراوين من الاغلفة التي عليها اسم المقهي وعنوانه .

ولما سمع مازيرو كلام الخادم نظر الي برينا باعجاب . وقال :

❁ اذن قد حدث ما استنتجته أنت .. واستطاع ذلك الرجل الآخر أن يستبدل رسالة فيرو بورقة بيضاء .

وقد وصف خادم المقهي ذلك الرجل الآخر بانه طويل القامة .. له لحية شقراء قصيرة . يحمل في يده عصا سوداء .. ذات مقبض فضي وأن المقبض مصنوع علي شكل رأس البجعة ..

قال مازيرو :

❁ اننا نستطيع أن نتخذ هذا الوصف أساسا للبحث .. واعتقد أن فيه الكفاية .

وما كاد الرجلان ينصرفان .. حتي عاد برينا فوقف في مكانه وقال لصاحبه :

❁ صبرا .. إن هناك من يتعقبنا ..

❁ هناك من يتعقبنا ؟ من هو ؟

فابتسم برينا وقال :

❁ اطمئن . انه شخص لا أهمية له .. وانا اعرف غرضه . فصبرا حتي اصفي حسابي معه ..

ثم نكص علي عقبيه .. وقصد الي رجل طويل القامة كان يروح ويجيء امام المقهي . فتأبط ساعده . وعاد به الي المفتش مازيرو وقال له :

❁ يا عزيزي مازيرو .. اسمح لي أن أقدم اليك صديقي

السنيور كازيرس .. الملحق بمفوضية بيرو .. وهو أحد السادة الذين حضروا اجتماعنا بمكتب مدير البوليس .. وهو كذلك الذي كلفه وزير بيرو المفوض بفحص أوراقي الشخصية ..

ثم التفت الي كازيرس واستطرد :

❁ هل كنت تبحث عني يا عزيزي كازيرس ؟

لقد خيل الي اثناء وجودنا في مكتب مدير البوليس انك ..

ولكن كازيرس أومأ باصبعه نحو مازيرو محذرا . فقال برينا وهو يبتسم :

❁ كلا .. كلا . لا يزعجك وجود المفتش مازيرو .. تستطيع أن تقول ما عندك علي مسمع منه .. انه رجل شديد الكتمان .. اضف الي ذلك أنه مطلع علي مجري الحوادث

وراح كازيرس ينقل بصره بين الرجلين في تردد فقال له برينا :

❁ تكلم في صراحة يا عزيزي .. ماذا تريد مني ؟ هل تريد نقوداً ؟ كم تطلب ؟

فتردد ملحق المفوضية قليلا . ثم تشجع وقال بصوت خافت :

❁ اطلب خمسين ألف فرنك .

فهتف الدون برينا :

❁ يالك من رجل جشع ! تطلب خمسين ألف من الفرانكات !
لماذا ؟ دعنا نستعرض الحوادث والظروف ياعزيزي .. إنني تشرفت بمعرفتك في بلاد الجزائر منذ ثلاث أعوام .. ولما عرفت المنصب الذي تشغله .. سألتك عما اذا كان في الامكان التجنس بجنسية (بيرو) بصفتي الدون برينا الذي ينتمي الي احدي الاسر الاسبانية العريقة .. فافهمتني ان ذلك ميسور جدا واتفقنا علي أن تكون (الاتعاب) عشرين ألفا من الفرنكات ..

وفي الاسبوع الماضي .. طلب الي مدير البوليس أن أقدم اليه اوراقي الشخصية فتقدمت اليك لامدادي بهذه الأوراق علي أساس اتفاقنا السابق

ووجدت في ذات الوقت انك مكلف رسميا بالتحقق من اصلي ونسبي .. وكانت النتيجة انك تفضلت بامدادي بالاوراق والوثائق المطلوبة واعطيتك العشرين الف فرانك بعد أن اتفقنا علي صيغة الشهادة التي ستؤديها امام مدير البوليس فيما يختص بأصلي وجنسيتي .

فماذا تريد مني بعد ذلك ؟

فاجاب كازيرس بصراحة :

* انني حسبت عندما تقابلنا منذ ثلاثة أعوام انني اتحدث الي رجل من احدي الاسر العريقة قد تطوع بالفرقة الاجنبية بجيش المستعمرات لاسباب شخصية ، وانه يريد لاسباب شخصية كذلك ان يتنكر تحت اسم مستعار ، إما لانه يريد اخفاء حقيقته . واما لانه يريد ان يبدأ حياته من جديد باسم جديد ... ولذلك وافقت علي تدبير الاوراق والوثائق التي تخولك الحق في ان تسمي نفسك باسم (الدون برينا) ... وقبلت ان افعل ذلك لقاء عشرين الف فرنك فقط .

اما اليوم فقد علمت ان المسألة تتصل بميراث كوزمو مورننجتن وان الوثائق المفتعلة التي وضعتها بين يديك ستخولك الحق في أن تستولي.باسمك الزائف علي مبلغ مليون فرنك علي الاقل .. ومن يدري فقد تستولي علي الميراث كله وقدره ٢٠٠ مليوناً .

وشعر الدون برينا ان كلام محدثه معقول .. ولكنه أراد استدراجه فسأله :

* واذا رفضت اعطاءك المبلغ الذي تطلبه ؟

* اذا رفضت . اضطررت الي اخطار مسجل العقود ومدير البوليس بان الاستعلامات والتحريات التي قمت بها

اثبتت ان هناك خطأ في شخصية الدون لويس برينا .. وبذلك لا تنال فرنكاً واحداً من الميراث .. وتكون اكثر من ذلك عرضة لان يلقي القبض عليك .

❁ ويلقي القبض عليك كذلك يا سيدي العزيز

❁ علي ؟!

❁ طبعاً .. لاقدامك علي تزوير وافتعال اوراق ووثائق شخصية .

فصمت كازيريس وضحك الدون برينا واستطرد :

❁ ارأيت يا عزيزي اننا متضامنان في السراء والضراء !! وما دام الامر كذلك فمن مصلحتك الا تقدم علي حماقة تندم عليها فيما بعد لقد حاول كثيرون قبلك الايقاع بي ، فاخفقوا .. وغلبوا علي امرهم . وندموا .

والان هل تفاهمنا يا عزيزي كازيرس ؟ ألا تضمر بعد الآن سوءا للدون برينا الطيب القلب ؟ حسناً .. الآن أستطيع ان اثبت لك انني رجل كريم .. وانني اوثر المسالمة علي الخصام

واخرج من جيبه دفتر الشيكات وكتب تحويلا بمبلغ عشرين الف فرنك قدمه الي كازيرس وهو يقول :

❁ اليك يا عـزيزي هذا المبلغ .. هدية من احـد ورثة الطيب الذكر كوزمو مورمنجتن

فوضع كازيرس التحويل في جيبه وهو يبتسم . وشد علي يد الدون برينا بحرارة وانصرف .

وعندئذ نظر برينا الي مازيرو وقال له :

❁ ما قولك في هذا يا سيدي المفتش ؟

فنظر اليه مازيرو في دهشة وذهول وسأل :

❁ ولكن ما معني هذا ياسيدي ؟

❁ معني ماذا ؟

❁ من انت يا سيدي ؟

❁ من انا ؟!

❁ نعم .

❁ الم تعرف حتي الان من انا ؟! ألم تسمع بأذنيك انني نبيل أسباني تابع لحكومة (بيرو) وان اسمي الدون لويس برينا ؟!

❁ هذا كلام فارغ ... بعد المهزلة التي شهدتها الآن .. لا يمكنني ان اصدق انك نبيل اسباني .

- اذن فبحسبك ان تعلم انني الدون لويس برينا المتطوع في الفرقة الاجنبية بجيش المستعمرات
- كلام فارغ ..
- وحائز علي وسام اللجيون دونور ..
- كفي دعابة يا سيدي .. ارجو ان تعود معي الي ادارة البوليس .
- الا تتركني اتم كلامي لأعرفك بنفسي .. قلت لك انني متطوع في الفرقة الاجنبية . وحائز علي وسام اللجيون دونور . وبطل سابق .. وسجين سابق .. ومدير بوليس سابق ..

فهتف مازيرو :

- انت مجنون يا هذا .. ما معني هذا الهذيان ؟
- انا لا اهذي .. ولكني اسجل حقائق تاريخية . واذا شئت ان اعدد لك المناصب الخطيرة التي تقلبت فيها ...

فقاطعه مازيرو بقوله :

- ارجو ان تعدد هذه المناصب الخطيرة في ادارة البوليس . تعال معي ..

❁ لا تصرخ هكذا يا الكسندر .

وكان مفتش البوليس يقبض علي ساعد الدون برينا بشدة فلما سمعه ينطق باسمه الشخصي .. تراخت قبضته وسقط ساعده بجانبه .

ابتسم الدون برينا وقال :

❁ الم تعرفني بعد ؟!

قال ذلك بصوت عرفه مفتش البوليس في الحال . فحملق في عيني محدثه وهو مدهوش مذهول . صاح :

❁ زعيمي ...

فرفع الدون برينا اصبعه الي شفتيه وهتف : صه

❁ اهذا ممكن ؟!

❁ ولم لا ؟!

❁ انك .. انك ميت

❁ وهل يزعجني ان اكون قد مت ما دمت الآن علي قيد الحياة ؟!

واستولي الذهول علي مفتش البوليس مازيرو . فألقي الآخر يده علي كتفه وسأله في لطف :

❁ من الذي ألحقك بخدمة البوليس يا الكسندر ؟!

❁ مسيو لينورمان مدير الامن العام

❁ ومن كان مسيو لينورمان ؟

❁ كان زعيمي ورئيسي .

❁ اي ارسين لوبين .. اليس كذلك ؟

❁ نعم .

❁ هل تعتقد ان ارسين لوبين الذي لم يتعذر عليه ان يصبح مديراً للامن العام .. يعجز عن أن يصبح الدون لويس برينا وان يصير متطوعاً في الفرقة الاجنبية وبطلاً . وحائزاً لوسام اللجيون دونور .

فصعد مازيرو نظره إلي محدثه . وارتسمت في عينيه نظرة حزينة وقال بعد لحظة تفكير :

❁ ليكن .. ولكنني انصح لك بألا تعتمد عليَّ بعد الآن . لقد كنت يوما ما احد اعوانك . اما اليوم فانني اخدم الهيئة الاجتماعية . وسأستمر في خدمتها . لقد تذوقت طعم الاستقامة والامانة والشرف . ولا اريد ان اعرف للحياة طعماً آخر

فهز برينا كتفيه وقال :

❁ انت مجنون يا الكسندر الظاهر ان طعام الاستقامة والامانة والشرف قد غذي جسمك اكثر مما غذي عقلك ... اذ من الذي طلب اليك ان تترك خدمة المجتمع لتعمل معي ؟!

❁ بحسبي ان اري نشاطك ...

فقاطعه برينا :

❁ نشاطي ! هل تظن انني اعمل في هذه القضية لمصلحة شخصية

فنظر اليه مازيرو في خبث .. وقال :

❁ انني اعرف زعيمي السابق حق المعرفة ..

❁ صدقني يا عزيزي الكسندر انني لا ارمي الي غرض . . لقد كنت منذ ساعتين مثلك .. لا ناقة لي في الموضوع ولا جمل ولكن الله اراد ان يجعل مني وريثاً لصديقي كوزمو مورننجتن ... وانا لا يسعني الا ان اطيع ارادة الله .

❁ واذن ..

❁ واذن سأجعل مهمتي ان انتقم لصديقي كوزمو مورننجتن وابحث عن الورثة الشرعيين . واجدهم ... واتولاهم

بحمايتي ... واوزع بينهم مبلغ المائتي مليون دولار .. التي هي من حقهم . هذه هي كل مهمتي .. وهي كما تري مهمة لا يضطلع بها الا شخص شريف ..

❁ ولكن اذا ..

❁ ولكن اذا لم أضطلع بها كرجل شريف ؟! أليس هذا ماتريد ان تقوله !؟

❁ يا سيدي

❁ اصغ الي يا عزيزي .. اذا كشفت في اعمال الدون برينا عوجاً او زيفاً .. فليس اسهل عليك من ان تضع يديه في الاصفاد .. انني اسمح لك بذلك .. بل آمرك بأن تفعل ذلك . فهل يكفي هذا ؟..

❁ ولكن اذا عرفت حقيقة شخصيتك ..

❁ ثم ..

❁ ثم قبض عليك ..

❁ من المستحيل ان يقبضوا علي

❁ لماذا ؟

❁ لسبب جدير بالاعتبار

❁ هو ؟!

❁ هو انني ميت .. ميت في نظر الناس والقانون .

فصمت مازيرو . ولم يجد ما يعقب به علي هذا التعليل . وقد قلب الموضوع في ذهنه علي كل وجوهه ثم ما لبث ان انفجر ضاحكاً .. وقال :

❁ ميت .. نعم .. انك ميت وانا اسيرالان مع رجل ميت .. واعجبه هذا التصور فأغرق في الضحك .

كان المهندس هيبوليت فوفيل يقيم في منزل مترامي الاطراف بشارع سوشيه وقد ابتني المهندس في احد اركان هذا المنزل جناحاً اتخذه مكتباً لعمله

قصد برينا ومازيرو أولاً الي مركز البوليس في (باسي) وطلب اولهما ارسال اثنين من رجال البوليس لمراقبة منزل المهندس فوفيل طيلة الليل . واصدر الي الشرطيين الذين وقع عليهما الاختيار لهذا الغرض أمراً بأن يلقيا القبض علي كل شخص يشتبه به .. يحاول دخول المنزل .

وبعدئذ تناول برينا ومازيرو طعام العشاء في احد المطاعم وقصدا الي بيت المهندس فوفيل .. فبلغاه في الساعة التاسعة

استوقف برينا زميله بالباب وقال له :

❁ مازيرو

❁ نعم ايها الرئيس

❁ الا تشعر بالخوف ؟

❁ كلا .. لماذا ؟!

❁ لماذا !؟ لاننا بمحاولتنا حماية المهندس فوفيل وولده . نعرض انفسنا لبطش اشخاص علي جانب عظيم من الجرأة والخطر ، يهمهم جداً هلاك المهندس وولده . ومعني ذلك ان حياتي وحياتك عرضة لخطر ماحق .. فهلا تشعر بالخوف !!

فأجاب مازيرو :

❁ لا اعرف يا سيدي الرئيس هل سأشعر بالخوف في احد الايام او لا .. بيد انني واثق من ان هناك حالة واحدة لا يمكن أن أشعر فيها بالخوف .

❁ وهي ..

❁ هي حين أكون بجانبك

قال ذلك ودق جرس الباب بعزيمة وثبات .
فتح الباب . وأطل منه أحد الخدم .. فقدم اليه مازيرو بطاقته

وما هي الا بضع دقائق حتي كان فوفيل يستقبل الرجلين في مكتبه بأحد أركان الحديقة

وقد قدم مازيرو زميله بصفته من مفتشي البوليس .. ثم بسط للمهندس الغرض من زيارتهما ... وقال له ان مدير البوليس قد اتصل به من المعلومات ما أقلقه وحمله علي اتخاذ اسباب الوقاية من الآن ..

فابتسم المهندس وقال :

✿ انني اتخذت الاحتياطات اللازمة .. ولكني اشفق أن يفسد وجودكما تدابيري !

✿ وكيف ؟!

✿ إن وجودكما من شأنه أن يلفت أعدائي .. فيأخذون بأسباب الحذر .. ولا اتمكن من الحصول علي الأدلة والبراهين التي وعدت بأن أتقدم بها الي مدير البوليس غدا .

✿ هل لك في أن توضح غرضك وتحدثنا بمعلوماتك ؟

✿ كلا .. لا استطيع .. سأفعل ذلك غدا صباحا . وليس قبل ذلك ..

فقال الدون برينا :

❁ ولكن اذا وقع عليك الاعتداء الليلة ...

❁ الليلة ؟!

❁ نعم .. لقد اكد المفتش فيرو في حديثه مع سكرتير مدير البوليس ان الجريمة المزدوجة سترتكب الليلة

فهتف فوفيل غاضبا :

❁ الليلة ؟ مستحيل .. أنا واثق أنها لن ترتكب الليلة .. هناك أشياء أعلمها ولا تعلمونها

فقال الدون برينا :

❁ هذا صحيح . ولكن يحتمل أن تكون هناك أشياء علمها فيرو .. ولا تزال أنت تجهلها .. نعم .. ربما كان قد وفق الي التغلغل في أسرار اعداءك أكثر مما استطعت انت .. بل ان ذلك مؤكد .. والدليل ان اعداءك كانوا يخافونه .. الدليل ان رجلا يحمل عصا ذات مقبض فضي علي شكل رأس البجعة راح يتعقبه ويطارده .. الدليل ان اعداءك قتلوه قبل ان يقتلوك

وهنا بدا علي فوفيل ان ثقته في صحة نظريته قد تزعزعت ..

فانتهز الدون برينا هذه الفرصة . وما زال يجادله حتي تمكن من اقناعه :

سأل الرجل : ولكن ماذا تريدان مني ؟ هل في نيتكما قضاء هذه الليلة هنا !؟

❁ نعم ..

❁ ولكن ذلك هو الجنون بعينه . انكما تضيعان وقتكما عبثا

❁ من الذي يقيم معك في هذا المنزل ؟

❁ أولا زوجتي .. وهي تشغل الطابق الأول ..

❁ هل هناك خطر يهدد مدام فوفيل ؟!

❁ كلا .. أنا المهدد .. أنا .. وولدي أدمون .. ولذلك هجرت غرفة نومي منذ اسبوعين واخذت اقضي الليل هنا ، وقد اعتذرت لزوجتي بأن لديّ من الاعمال مايستوجب سهري وانني استعين بابني في انجاز هذه الاعمال .

❁ هل ينام ولدك هنا ؟

❁ نعم . في غرفة صغيرة أعددتها له فوق هذه الغرفة . ويمكن الوصول اليها بواسطة هذا السلم .

❁ وهل هو في غرفته الآن ؟

❁ نعم .. انه نائم .

❁ وكم عمره ؟

❁ ١٦ سنة .

❁ مادمت قد استبدلت غرفة نومك ، فمعني ذلك أنك تخشي الاعتداء علي حياتك في الغرفة التي استبدلتها . فهل يقيم عدوك معك في هذا المنزل ؟ هل هو أحد خدمك مثلا أو شخص من الخارج ؟ وإذا كان عدوك شخصا من الخارج فكيف يستطيع دخول البيت ؟ هذه هي المسألة .

فأجاب فوفيل باصرار :

❁ غدا .. غدا تعرف ، غداً أوضح لك كل شيء .

فسأله برينا باصرار كذلك :

❁ ولكن لماذا لاتفعل ذلك الآن ؟

❁ لانني مازلت بحاجة الي المزيد من الادلة ، لأن مجرد الافصاح بالحقيقة قد تترتب عليه نتائج هائلة ، وأخيراً .. لأنني خائف .

ورأي الرجلان علي وجهه علامات الخوف والذعر ، فكف برينا عن الالحاح .

قال : حسنا . كل ما أطالبك به الآن هو أن تسمح لي ولزميلي هذا بقضاء الليلة علي مقربة منك .

* علي رسلك يا سيدي .

وفي هذه اللحظة ، اقبل أحد الخدم وأنبأ المهندس فوفيل بأن زوجته تريد أن تراه قبل أن تخرج .

ودخلت مدام فوفيل علي الاثر . وحيت برينا ومازيرو في لطف .. كانت امرأة حسناء .. تناهز الثلاثين من عمرها ، لها عينان زرقاوان باسمتان وشعر مجعد جميل ، وقامة رشيقة .

سألها زوجها في دهشة :

* في نيتك اذن أن تخرجي الليلة ؟

فأجابته :

* لاتنس أن أسرة " فيرار " قد احتجزت لي مكانا في مقصورتها بمسرح الاوبرا . وانك انت الذي رجوتني في أن أقضي بضع دقائق عقب سهرة الاوبرا في دار مدام (ارسنجر) بمناسبة الحفلة التي تقيمها الليلة عندها .

* هذا صحيح ، هذا صحيح ، لقد ضعفت ذاكرتي ، بسبب اعمالي الكثيرة .

سألته وهي تعقد ازرار معطفها :

❁ اليس في نيتك حضور حفلة مدام ارسنجر ؟

❁ لماذا ؟

❁ انهم يسرهم أن تكون موجودا .

❁ ولكن ذلك لا يسرني ، وفضلا عن هذا فان صحتي لا تسمح لي باطالة السهر .

❁ اذن فسأعتذر عنك .

❁ نعم ، اعتذري عني . . . .

وظلت مدام فوفيل صامتة لحظة ، كأنها لا تعلم بأية كلمة تودع زوجها ، واخيرا قالت :

❁ أين أدمون ؟ كنت أحسبه يعمل معك ! ؟

❁ انه متعب .

❁ هل هو نائم ؟

❁ نعم .

❁ كنت أود أن أقبله .

❁ لا تفعلي ، خوفا من أن يستيقظ ، وبعد فها هي سيارتك

قد جيء بها للذهاب بك الي دار الاوبرا ، اتمني لك سهرة ممتعة .

❁ شكرا لك .

وساد بينهما الصمت مرة اخري ..

وقد كان ذلك الموقف كافيا لأن يشعر برينا ومازيرو بأنهما أمام زوجين ليسا علي أتم وفاق فالزوج عليل .. ضعيف البنية يكره السهرات .. والمسرات .. ويوثر البيت علي الحفلات .. والزوجة حسناء تبحث عن اللذائذ والمسرات التي من حقها أن تستمتع بها .. بحكم فتوتها وشبابها

وعندما وجدت الزوجة أنه ليس لدي زوجها ما يقوله لها تقدمت اليه .. وطبعت علي جبينه قبلة فاترة . ثم حيت الرجلين وانصرفت .. وسمع الرجال الثلاثة صوت محرك السيارة وهي تبتعد بزوجة المهندس .

قال مسيو فوفيل وهو يدق الجرس :

❁ لايوجد هنا من يرتاب في أنني مستهدف لأي خطر . لأنني لا أضع ثقتي في أحد .. حتي ولا في خادمي الخاص سلفستر .. الذي قضي في خدمتي عشرات الأعوام .

ولبي الخادم رنين الجرس ، فقال له المهندس :

❁ سأنام الآن ياسلفستر .. فأعدد لي الفراش .

فعمد سلفستر الي أريكة كبيرة فبسطها بطريقة خاصة .. وأعد عليها الاغطية والوسائد .. وجعل منها فراشا وثيرا.

ثم أمره سيده فجاء بآنية ماء وقدح وصحفة عليها بعض الفاكهة تناول مسيو فوفيل تفاحة فاقتطع منها قطعة . ولكنه وجد أنها ليست ناضجة .. فعالج تفاحتين أخريين وجدهما لا تفترقان عن الاولي ، فاعادهما الي الصحفة .

وتذكر فوفيل ضيفيه فقال للخادم :

❁ هذان السيدان سيقضيان الليلة هنا .. فلا تحدث بذلك أحداً وجئهما ببعض الفاكهة .. فربما شعرا بالجوع ليلا .

فانصرف الخادم .. وعاد بعد بضع دقائق وبين يديه صحيفة لاحظ الدون برينا أن عليها أربع تفاحات .

ونهض فوفيل وأخذ يرتقي السلم الحلزوني الموصل الي الغرفة التي يقيم بها ولده .

وتبعه برينا الي هذه الغرفة فانحني الرجل فوق فراش ولده ومالبث أن قال بصوت خافت :

❁ انه نائم ..

وهبط الرجلان السلم ونظر فوفيل في ساعته وقال :

❁ الساعة الآن العاشرة والربع . انني انام في مثل هذا الوقت فأرجو المعذرة لانني متعب جداً .

وقد تم الاتفاق علي ان يقضي برينا ومازيرو ليلتهما جالسين في مقعدين يضعانهما في الدهليز الموصل بين غرفة عمل فوفيل واحدي الشرفات .

وعندما هم الرجلان بالاستئذان من رب الدار ، لاحظ برينا ان المهندس منقلب السحنة ، وان العرق يتصبب علي جبينه

سأله : ماذا بك ؟

فأجاب : انني خائف

فقال الدون برينا : هذا هو الجنون بعينه . الا تري اننا سنقضي الليلة معك ؟! اذا شئت فاننا نجلس حول فراشك طيلة الليلة

فألقي المهندس يده علي كتف برينا وهزه بعنف وقال :

❁ اذا كنتم عشرة اشخاص .. بل اذا كنتم مائة شخص .. ، واحطتم بي ليل نهار ، فهل تحسب ان ذلك يردهم عني ؟! كلا . كلا . انهم يستطيعون كل شيء . هل سمعت ؟ انهم يستطيعون كل شيء .. لقد قتلوا المفتش فيرو ، وسيقتلونني ، ويقتلون ولدي ، يا الهي رحمة بي .

وضرب صدره بيده ، وراح يقول كمن به مس :

❁ يا الهي ، رحمة بي ، لا اريد ان اموت ، لا اريد ان يموت ولدي .

قال ذلك ، ثم امسك بيد برينا ، وسار به الي دولاب صغير مسند الي الجدار ، ففتح بابه ، ثم حرك جداره الخلفي ، فكشف عن خزانة حديدية صغيرة قائمة في جوف الجدار

قال : ان تاريخ حياتي موضوع في هذه الخزانة ، لقد سجلت يوماً بيوم منذ ثلاثة اعوام ، فاذا حدث لي شيء ، وجدتم في هذه الخزانة ما ييسر لكم الاخذ بثأري .

واخرج من جيبه مفتاحاً صغيراً . فتح به الخزانة ثم مد يده الي جوفها واخرج دفتراً صغيراً هزه في يده وقال :

❁ لقد سجلت كل شيء هنا .. في هذا الدفتر ... فمن يقرأ ما هو مكتوب به يعرف الحقيقة

لقد سجلت اولاً شكوكي وريبتي .. وسجلت اخيراً الحقائق والادلة التي تثبتها تذكرا هذا دائماً .. وها هو الدفتر الخزانة امامكما قال ذلك ورد الدفتر الي مكانه واغ

وعاوده الهدوء بالتدريج .. فأضاء المصباح

القريب من فراشه ، واطفأ المصباح الكبير المدلي من سقف الغرفة وطلب الي برينا ومازيرو ان يتركاه ..

وفتش برينا الغرفة جيداً .. وفحص قضبان النوافذ ولاحظ وجود باب مقابل لم يلاحظه من قبل ، فاستفسر عنه ، واجابه المهندس :

● انني استخدم هذا الباب لمرور عملائي .. وانا شخصياً امر منه في بعض الاحيان ..

● هل يؤدي هذا الباب الي الحديقة ؟

● نعم ..

● هل انت واثق من انه مغلق جيداً ؟

● تستطيع ان تتأكد من ذلك بنفسك . انه مغلق بالمفتاح والمزلاج . والمفتاح في جيبي . في حلقة واحدة مع مفتاح باب الحديقة .

ونهض الي ثوبه . فأخرج منه حلقة المفاتيح . ووضعها علي الطاولة ووضع بالقرب منها ساعته وحافظته .

وقد تناول الدون برينا حلقة المفاتيح في غير تردد وفتح الباب المغلق .. وهبط ثلاث درجات . فوجد نفسه في الحديقة .

دار بالمكان .. وأطل من سور الحديقة فرأي الشرطيين المكلفين بالحراسة والمراقبة يروحان ويجيئان في الشارع أمام باب المنزل .

رجع أدراجه . وأعاد غلق الباب ، وقال محدثا المهندس :

✿ كل شيء علي ما يرام ، فنم مطمئنا الي الغد .

فقال المهندس محييا :

✿ الي الغد .

ولما انصرف برينا ومازيرو ووجدا نفسيهما في الدهليز . التفت الاول إلي زميله . وقال له :

✿ تستطيع أن ترقد ياعزيزي مازيرو .. أما أنا فسأسهر .

✿ ألا تظن اننا قد نحتاج الي نجدة ؟

✿ لا أظن ذلك .. ومهما يكن من أمر فاننا قد اتخذنا الاحتياطات الضرورية .. ولكن حدثني يامازيرو .. انك كنت تعرف المفتش فيرو حق المعرفة .. فهل تعتقد انه لم يكن بالرجل الذي يسيطرعليه الاوهام . أو بمعني آخر .. انه يخترع حكاية الجريمة المزدوجة اختراعاً ؟

✿ كلا أيها الرئيس .

✿ اذن فانه كان علي حق في مخاوفه .. وعلي ذلك يجب أن نفتح عيوننا ..

* لنسهر بالتناوب أيها الرئيس . سأنام الآن .. وعليك أن توقظني عندما تحين نوبتي في السهر .

وجلسا بجوار بعضهما .. وتبادلا بعد ذلك الفاظاً قلائل .الي أن غلب النعاس مازيرو فنام .

أما الدون لويس برينا . فانه ظل في مقعده لايأتي بحركة ولكنه كان يقظا متنبها . يصيغ السمع باهتمام شديد الي كل حركة وكل صوت . علي أن المنزل كان في هدوء تام . ولم يكن يسمع فيه غير صدي السيارات التي تمر امامه .

وقد نهض برينا من مقعده مراراً . واقترب من باب غرفة هيبوليت فوفيل وأصغي جيداً . ولكنه لم يسمع أية حركة . فترجح لديه ان الرجل لابد مستغرق في نوم عميق .

قال يحدث نفسه :

* اعتقد انه لاخوف عليه الليلة فهناك شرطيان يحرسان المنزل ويستحيل علي كائن من كان أن ينفذ الي غرفة الرجل إلا إذا مر من هذا الدهليز حيث نحن الآن .. ومعني هذا . انه ليس ثمة أي خوف . أو خطر .

وحوالي الساعة الثانية صباحا وقفت سيارة بباب المنزل . فأسرع خادم كان لابد في انتظار قدوم السيارة ففتح الباب الخارجي

وعندئذ أطفأ برينا النور الكهربائي في الدهليز . وأرسل بصره من وراء ستار النافذة .. فرأي مدام فوفيل تدخل المنزل والخادم سلفستر يتبعها .

صعدت درجات السلم .. وبعد دقائق أطفئت أنوار السلم .

وانقضي عقب ذلك نصف ساعة .. كانت تسمع خلالها بالطابق العلوي ضجة .. وجلبة .. وأحاديث . وحركة مقاعد .. ثم ساد الصمت والسكون بعد ذلك .. وفي ابان فترة الصمت والسكون التي اعقبت هذه الضجة والجلبة شعر برينا بقلق عجيب وأحس بانقباض في الصدر لم يعرف له سبباً .

واشتد به هذا الشعور فغمغم قائلا لنفسه :

• تري .. هل لا يزال الرجل نائما ! يجب أن أتحقق .

وكان قد اتفق مع المهندس علي أن يترك الاول زجاج الباب مفتوحا ولذلك كان من الميسور علي دون برينا أن يدفع زجاج الباب ثم يمد يده الي الداخل ويحرك المزلاج فيفتح الباب .

وقد فتح الباب بهذه الطريقة .. ودخل ومصباحه الكهربائي في يده واقترب من الفراش .. فرأي فوفيل مستغرقا في النوم .. ووجهه نحو الجدار .

فتنهد بارتياح وعاد الي الدهليز ووضع يده علي كتف مازيرو وهزه بلطف وهو يقول :

❁ لقد جاءت نوبتك ياالكسندر . ففتح مازيرو عينيه وسأل :

❁ هل من جديد ايها الرئيس ؟

❁ كلا .كلا إنه نائم ؟

❁ كيف علمت انه نائم ؟

❁ دخلت غرفته ورأيت انه نائم .

❁ هذا عجيب .. انني لم أشعر بك حين نهضت ودخلت الغرفة حقا انني انام كالثور .

❁ اجلس يا الكسندر .. واسهر جيداً ولا توقظ مسيو فوفيل أما أنا فمتعب وأريد أن أغمض جفني لحظة .

وتهالك علي مقعده .. وأغمض عينيه . واستسلم للنعاس .. ولكنه ظل مع ذلك يشعر بما حوله .

دقت احدي الساعات . فشعر برينا بنفسه وهو يحصي دقاتها واستيقظ أخيراً علي ضجة المركبات والسيارات وحركة المرور في الشارع وعلي صفير قطارات الصباح .

وبدأت كذلك في المنزل حركة الخدم .

قال مازيرو :

- هلم بنا . لقد تبلج النهار . فلا داعي الآن لبقائنا هنا .

فنظر اليه برينا نظرة صارمة وقال بلهجة الامر :

- صه .
- ماذا حدث ؟!
- إذا انصرفنا الآن استيقظ من نومه .

فقال مازيرو دون أن يخفض صوته :

- انت ترى أنه ينام ملء جفنيه .
- هذا صحيح . هذا صحيح .

وادهش برينا ان صوته وصوت زميله لم يوقظا النائم . فشعر بمثل القلق وانقباض الصدر اللذين شعر بها في جوف الليل .

سأله مازيرو :

- ماذا بك ايها الرئيس ؟ انك اصبحت غير الرجل . فماذا اصابك ؟
- لاشيء . لاشيء اني خائف .

فمرت بجسد مازيرو قشعريرة شديدة .

سأله : خائف ؟ ومم ؟ انك تتكلم كما كان فوفيل يتكلم أمس

❁ نعم .. نعم . وللسبب عينه . ألا تفهم . الا تفهم انني اسائل الآن نفسي ..

❁ عم تسائل نفسك ؟

❁ اسائل نفسي عما إذا لم يكن الرجل قد مات ..

❁ انك مجنون . انك ..

❁ لا اعلم .. يخالجني شعور بان ملاك الموت معنا

واضاء مصباحه الكهربائي الصغير ودخل غرفة المهندس . ووقف أمام الفراش جامد الحركة كمن سمر في مكانه .او كمن اصابه فالج . لم يجد الشجاعة علي توجيه الضوء الي وجه هيبوليت فوفيل

هتف مازيرو :

❁ انه لا يتحرك أيها الرئيس . انه لا يتحرك

❁ نعم .. نعم .. اعلم ذلك . وقد لاحظت الآن فقط انه لم يتحرك طيلة هذه الليلة .. وهذا ما راعني .

وتشجع برينا أخيرا .. واقترب من الفراش حتي أوشك أن يلتصق به

لم يتحرك المهندس . ولم يبد عليه أنه يتنفس .

تناول برينا يده .. فالفاها باردة .. كقطعة من الثلج .

مرت لحظة الدهشة والفزع والجزع وملك برينا نفسه بسرعة .

صاح بصاحبه : النافذة .. افتح النافذة .

ففتح مازيرو النافذة .. وانبعث منها الضوء فملأ أنحاء الغرفة ورأي برينا علي ضوء النهار وجه المهندس التعس .. فاذا هو ملطخ ببقع قاتمة .

هتف بصوت خافت :

* يا الهي .. لقد مات .

فاصطكت أسنان مازيرو وغمغم :

* ماذا تقول .. مات .

وانقضت دقيقتان أو ثلاث كان الرجلان في خلالها نهبة الجزع والذعر . وفجأة خطر لبرينا خاطر . فاجتاز الدهليز مسرعا . وصعد السلم المؤدي الي الطابق الاول وثبا .

ودخل الغرفة التي أعدها المهندس فوفيل لرقاد ولده ادمون واقترب من الفراش .

وجد الصبي التعس ممدداً في فراشه وقد تجمد جسده .. وغاضت الحياة من وجهه .

هز برينا رأسه يأساً وقنوطاً ..

لم تمر به في حياته الحافلة بالحوادث الجسام مثل هذا الحادث الذي يعصر القلب عصرا .

وقف صامتا.. عاجزاً عن الكلام والحركة .

لقد مات الاب والابن .. قتلا أثناء الليل .. رغم الحراسة الدقيقة التي وضعت حولهما .. وقتلا بالسم كما قتل من قبل كوزمو مورننجتن و فيرو ..

وكان مازيرو قد لحق ببرينا.. ورأي جثة الصبي التعس .. فهز رأسه وقال :

* لقد ذهبت جهودنا في محاولة انقاذهما عبثا .

وكان في لهجته شيء من العتب . فقال برينا :

* الحق معك .. فانني لم ابذل للامر ما يستحق من عنايتي

فقال مازيرو :

* وانا أعترف باني مثلك لم ابذل لهذا الحادث ما يستحق من العناية .

❁ انت .. انت .. ولكنك لم تضع اصبعك في القضية الا منذ بضع ساعات !

❁ وانت كذلك !

❁ هذا صحيح .. هذا صحيح . اما خصومنا فيتآمرون ويدبرون منذ اسابيع واسابيع .. ومهما يكن من امر فقد قتل الرجل وابنه قـتـلاً ونحن هنا .. قـتـلا تحت انف ارسين لوبين . ولكني للاسف لم ار شيئاً وكشف عن ساعد الصبي .. واشار الي مكان في اعلا الساعد ثم الي الوجه وقال :

❁ الاثر بعـينه في السـاعـد .. والبـقع بعـينهـا في الوجـه .. ويخيل الي ان الصبي لم يتألم مثل ابيـه .. مسكين هذا الصبي لم تكن تبدو عليه دلائل الصحة والقوة ياالله .. سوف يكون حزن امه عظيماً.

وبكي مازيرو حزناً ويأساً وشفقة

قال برينا : هل ننتقم لهما يا مازيرو ؟!

❁ لماذا تقول هذا ايها الرئيس ؟! انني علي استعداد لان انتقم لهما مائة مرة .

❁ لنقسم ... لنقسم ان ننتقم لهما .. وألا نلقي بأسلحتنا قبل ان نضع ايدينا علي اعناق قتلة هيبوليت فوفيل وولده .

❁ انني اقسم يا سيدي الرئيس .

❁ حسناً .. هلم الي العمل . عليك الان ان تتصل تليفونياً بمدير البوليس .. انا واثق ان مسيو ديماليون يسره ان تخطره في الحال فهذه القضية تهمه كثيراً .

❁ واذا اقبل الخدم ؟ . واذا اقبلت مدام ..

فقاطعه برينا

❁ لن يدخل احد قبل ان نفتح الابواب . ونحن لن نفتح الابواب الا لمدير البوليس .. وعلي مدير البوليس بعدئذ ان يخطر مدام فوفيل بفجيعتها . وينبئها بانها اصبحت ارملة .. وانها لم تعد اماً .. اسرع يا مازيرو .. اسرع الي التليفون .

❁ صبراً ايها الرئيس . اننا نسينا شيئاً من شأنه ان يفيدنا كثيراً .

❁ ما هو ؟

❁ الدفتر الصغير الذي وضعه مسيو فوفيل في الخزانة . والذي يتضمن من المعلومات ما يميط اللثام عن حادث مصرعه . والمؤامرات التي كانت تدبر ضده .

فهتف برينا : الحق معك ! ومن حسن الحظ ان فوفيل وضع حلقة المفاتيح علي الطاولة .

وهبط السلم مسرعاً وتبعه مازيرو وهو يقول :

❁ دعني انا اقوم بهذه المهمة .. من الافضل رسمياً الا تمس انت الخزانة .

وتناول حلقة المفاتيح .. وفتح الدولاب وحرك جداره الخلفي فكشف عن الخزانة ووضع المفتاح في قفل الخزانة وحركه ففتحت

كان الرجلان في اشد حالات الفضول والشوق الي معرفة اسرار الحادث وغوامضه . ولذلك لم يتمالكا من الارتجاف عندما فتح باب الخزانة . ومد مازيرو يديه في جوف الخزانة . واخذ يفتش بين الاوراق المتراكمة .

صاح برينا : اسرع يا مازيرو .. هات الدفتر .

فسقط ساعدا مازيرو الي جنبيه وقال :

❁ لقد اختفي الدفتر ايها الرئيس .

فأفلتت من فم برينا صيحة غضب وحنق . وقال مازيرو :

❁ اذن فقد كان اولئك الاشقياء يعلمون بوجود الدفتر .

❁ صبراً . ان جعبتنا لم تفرغ بعد . المهم الآن ان نتصل تليفونياً بمدير البوليس فأطاع مازيرو .. وما هي إلا دقائق حتي كان مسيو ديماليون يستمع الي حديثه .

اما برينا فانه راح يسير في الغرفة جيئة وذهاباً .. واستقرت عيناه اخيراً علي الصحفة التي بها التفاح . وظهرت علي وجهه علامات الدهشة والتفكير قال :

❁ هذا عجيب انني لا اري في الصحفة غير ثلاث تفاحات . فترى هل اكل فوفيل الرابعة ؟ وهو الذي وجد في المساء ان التفاح غير ناضج فلم يأكل ماقدم اليه منه !

ولزم الصمت مرة أخري . ووضع ساعديه علي الطاولة . واسند رأسه الي كفيه . وظهرت علي وجهه علامات الاهتمام والتفكير

قال بعد لحظة .كأنه يحدث نفسه :

❁ ان الجريمة ارتكبت في الساعة الثانية عشرة والنصف تماما

فدهش مازيرو وسأله :

❁ وكيف علمت ذلك ؟

❁ ان القاتل أو القتلة عبثوا بالاشياء التي وضعها مسيو فوفيل علي الطاولة فسقطت الساعة . فاعادوها إلي موضعها ولكن السقطة اوقفت عقاربها عند الساعة الثانية عشرة والنصف :

❁ ومعني ذلك اننا عندما بدأنا الحراسة في الساعة الثانية

صباحا كنا نحرس جثة لاتدب فيها الحياة .. وكانت فوق رؤوسنا جثة أخري هي جثة الصبي التعس !

❁ نعم .

❁ ولكن من أين دخل أولئك الاشقياء ؟

❁ من هذا الباب المؤدي الي الحديقة

❁ وإذن كانت معهم مفاتيح ؟

❁ كانت معهم مفاتيح مصطنعة بغير شك .

❁ والشرطيان اللذان يرقبان المنزل من الخارج .. تري هل لم يلاحظا شيئا ؟

❁ انهما يقومان بعملهما كما يقوم جميع رجال الشرطة بأعمالهم . أي بقلة اكتراث وعدم اهتمام . ومن المؤكد أن القاتل أو القتلة غافلوهما .ووثبوا من فوق سور الحديقة .

قال مازيرو :

❁ يجب الاعتراف بأن خصومنا علي جانب عظيم من القوة والدهاء .

❁ أنا واثق من ذلك . وواثق من أن القتال بيننا سيكون هائلا ورهيباً .وفي هذه اللحظة دق جرس التليفون . فخف

مازيرو الي السماعة .. وتناول برينا حلقة المفاتيح وفتح الباب المؤدي الي الحديقة .. وأخذ يبحث ويفتش عله يقع علي أثر يساعده في مهمته .

رأي الشرطيين من خلال سور الحديقة وهما يروحان ويجيئان بين مصباحي الشارع .

قال يحدث نفسه :

- ان الخطأ خطأي . كان الواجب ألا تسند المهمة لغير الشخص الذي يدرك اهميتها وخطورتها .. هذان الشرطيان يروحان ويجيئان .. كأنهما آلة ميكانيكية ومن الميسور جداً لاي انسان أن ينتهز فرصة تحولهما فينفذ الي حديقة المنزل دون أن يشعرا به .

وجد برينا علي أرض الحديقة آثار أقدام مضطربة يتعذر تمييزها وانه يتعقب هذه الآثار .. إذا بشيء علي الارض يلفت نظره . تناوله .. فوجده تفاحة . وكانت التفاحة الرابعة ، التي لاحظ اختفاءها من الصحفة .

قال لنفسه : واذن لم يأكل فوفيل هذه التفاحة . واذن قد حملها أحد القتلة ليأكلها طبعاً ولكنها سقطت منه ولم يجد الوقت الكافي لالتقاطها ..

فحص التفاحة .. ومرت بجسده قشعريرة .

هتف : بالله . ايمكن هذا ..

جمد في مكانه كأنما سمرت قدماه بالارض ولم يصدق عينيه أول الامر ولكن .. ها هو يري . ان الشخص الذي حمل التفاحة . حاول أن يأكلها . فغرس اسنانه فيها .. ولكنه لم يستعذبها . أو لاحظ انها لم تنضج فالقي بها الي الارض . بعد أن ترك عليها طابع اسنانه .

ردد برينا :

❁ ايمكن هذا ؟ ايمكن ان يكون أحدهم قد ارتكب هذه الحماقة ووقع في هذا الخطأ .. وترك وراءه هذا الاثر الساطع الصارخ ؟ لابد ان التفاحة سقطت منه عفوا . ولكنه بحث عنها في الظلام ولم يوفق الي العثور عليها .

رأي بالتفاحة أثر صفين منتظمين من الاسنان .. فغمغم :

❁ اسنان النمر ..

وتذكر في الحال انه رأي أثر هذه الاسنان بالذات علي قطعة الشيكولاتة التي وضعها مفتش البوليس فيرو بالصندوق الصغير الذي تركه لمدير البوليس .

قال يحدث نفسه : تري هل هذا الاثر مفتعل ؟ أو ان الشخص الذي ترك أثر أسنانه علي قطعة الشيكولاته قد قضم حقا هذه التفاحة الفجة ؟

تردد لحظة .. هل يحتفظ بتلك التفاحة كأثر يسترشد به في التحقيق الذي ينوي القيام به بصفته الشخصية ؟ أو يتركها للمحققين ورجال العدالة .

وهنا شعر بالاشمئزاز من التفاحة فقذف بها بين العشب وعاد أدراجه الي الغرفة وأغلق بابها .. ورد حلقة المفاتيح الي موضعها فوق الطاولة

وسأل مازيرو : هل تحدثت الي مدير البوليس ؟

- نعم
- هل سيحضر ؟
- نعم
- ألم يصدر امره بالاتصال بأحد المحققين أو رجال البوليس ؟
- كلا
- معني هذا إذن أنه يريد أن يري كل شيء بنفسه .. هذا حسن ولكن رجال النيابة ؟

❁ سيخطرهم هو بنفسه

❁ مـاذا بك يا الكسندر ؟ أراني مـضطرا الي انتـزاع الاجـوبة منك انتزاعا ثم انك تحدجني بنظرات عجيبة فماذا بك ؟

❁ ليس بي من شيء

❁ لا شك ان حـوادث الليلة تشـغل بالك . ولاشك أن مـدير البوليس سيجد نفسه في مأزق دقيق . ذلك لأنه وثق بي بسهولة . ومما لا شك فيه أنه سيسأل عن أسباب وجودي في هذا المنزل . ولهذا أوثر ان تضطلع وحدك بمسئولية ما فعلنا الليلة يا ألكسندر . أليس كذلك ؟ هذا أفضل لك ولمستقبلك . نعم لا مانع عندي من أن تكون أنت صاحب أبرز شخصية في حوادث الليلة . وبهذه المناسبة أنصح لك بألا تصرح بأنك استغرقت في النوم . وإلا جلبت علي نفسك ما أنت في غني عنه . والآن أعتقد انه لم تعد ثمة ما يستلزم بقائي . فإلي اللقاء . إذا اراد مدير البوليس التحدث الي . فاتصل بي بمنزلي بميدان (باليه بوربون) الي اللقاء يا عزيزي الكسندر وسار نحو الباب . فصاح مازيرو :

❁ صبرا لحظة

وما كاد برينا يقف في مكانه . حتي أسرع مازيرو وحال بينه وبين الباب ، قال مرة أخري : صبرا لحظة .. انني اري من الاوفق أن تبقي معي حتي يحضر مدير البوليس

❁ ولكن مالي ومدير البوليس !!

❁ لا استطيع ان اسمح لك بالانصراف

❁ الكسندر !! ماذا دهاك يا رجل !! هل أصابك مس من الجنون !

فتخاذل مازيرو وقال بصوت خافت :

❁ وماذا يضيرك إذا بقيت أيها الرئيس ؟ طبيعي أن يرغب مدير البوليس في التحدث اليك

❁ آه .. هل يرغب مدير البوليس في التحدث الي ؟ حسنا .. في استطاعتك ايها العزيز أن تقول له أنني لا أتلقي الاوامر منه أو من رئيس الجمهورية . وأن نابليون الاول نفسه لو وقف في طريقي ..

فبسط مازيرو ساعديه ليحول بينه وبين المرور وقاطعه بأن قال في حزم :

❁ إنك لن تمر

❁ كفي دعابة

❁ لن اسمح لك بالمرور

فأمسك برينا ساعديه . وضغط عليهما بسرعة حتي الصقهما بفخذيه ثم دفع به بعيدا فارتطم بالجدار وسقط علي الارض

وفتح برينا الباب .. وهم بالخروج .. ولكنه سمع صوت مازيرو وهو يصيح :

❁ قف أو أطلق عليك الرصاص

ورأي الدون لويس برينا فوهة المسدس مصوبة اليه .. فوقف مذهولا مدهوشا .. لم يزعجه منظر المسدس المسدد اليه .. بقدر ما ادهشه أن يجسر مازيرو - شريكه السابق في كثير من مغامراته - علي تهديده باطلاق الرصاص عليه اقترب منه ببطء وهدوء وقال له :

❁ انت تفعل هذا بامر مدير البوليس اليس كذلك ؟!

فغمغم مازيرو :

❁ نعم ..

❁ هل امرك باستبقائي حتي يحضر !

❁ نعم

❁ وهل امرك بأن تمنعني بالقوة إذا حاولت الانصراف !

❁ نعم

❁ وان تمنعني بكل الوسائل !

❁ نعم

❁ حتي ولو باطلاق الرصاص إذا لزم الحال ؟

❁ نعم

ففكر برينا لحظة . ثم سأله :

❁ هل كان في نيتك ان تطلق الرصاص عليَّ يا مازيرو !

فاطرق مازيرو برأسه وأجاب :

❁ نعم ايها الرئيس

فنظر اليه برينا نظرة عطف . لا تنطوي علي شيء من الغضب والموجدة وقد طاب له أن يخلص زميله السابق لواجبه مثل هذا الاخلاص الحقيق بالاعجاب . قال :

❁ انني لا احقد عليك يا مازيرو بل علي العكس انني أقر عملك واطري شجاعتك واخلاصك لواجبك فقط اريدك أن توضح لي السبب الذي من اجله يريد مدير البوليس أن ..

ولم يتم الدون لويس برينا كلامه . لأنه رأي في عيني مازيرو نظرة حزينة جعلته يثب من مكانه . فهم كل شيء فهتف :

❁ كلا .. كلا .. هذا هو الحمق بعينه . هل يمكن ان يكون قد خطر له .. هل تعتقد أنني القاتل يا مازيرو ؟

❁ أنا واثق منك ثقتي بنفسي ايها الرئيس . فانك لا تقتل قط .. بيد ان هناك ملابسات .. ومصادفات

فردد برينا في بطء :

❁ ملابسات . ومصادفات

وفكر لحظة ثم قال بصوت خافت :

❁ هذا صحيح . هناك بعض الملابسات والمصادفات . ولا أدري كيف لم أفطن اليها . هناك صلتي بكوزمو مورننجتن وقدومي الي باريس للاشتراك في فتح الوصية والحاحي لقضاء الليلة هنا . أضف الي ذلك أن موت فوفيل وولده يزيل من الطريق اثنين من الورثة . فموتهما في مصلحتي . ثم هناك . وهناك .. مائة ألف اعتبار تخول مدير البوليس الحق في أن يرتاب بي اذن فقد وقعت في الفخ

❁ لا تقل هذا أيها الرئيس

❁ كلا يا صديقي . لست أعني انني وقعت في الفخ بصفتي ارسين لوبين اللص سابقا . السجين سابقا . ولكنني وقعت

في الفخ بصفتي الدون لويس برينا . الرجل الشريف النبيل . المنفذ لوصية كوزمو مورننجتن ، ولكن هذا حمق اذ من ذا الذي سيبحث عن قاتل مورننجتن وفيرو وفوفيل اذا أنا ألقيت في السجن ؟!

وفي هذه اللحظة سمع الرجلان صوت وقوف سيارة بالباب .. أعقبتها سيارة أخري

كان القادمون هم مدير البوليس ورجال النيابة بغير شك .. امسك برينا بساعد مازيرو وقال بحدة :

- هناك وسيلة للخلاص يا الكسندر .. لا تذكر ان النوم استولي عليك وانك نمت .
- مستحيل
- يا لك من احمق
- لا سبيل للخلاص يا سيدي الرئيس الا أن تكشف القاتل وتضع يدك علي عنقه . وبذلك تثبت براءتك
- ماذا تقول ؟
- أقول أن القبض علي القاتل هو السبيل الاوحد لخلاصك .. ان العدالة تطالب بمذنب تقتص منه .. فاذا لم تقبض علي القاتل .. تحرج موقفك . لقد قال لي مدير البوليس

بصريح العبارة أن موقفك دقيق . وأن الادلة قوية ضدك فاشحذ ذهنك ايها الرئيس وبحسبك أن تعتزم اقتناص المجرم الحقيقي فتوفق الي القبض عليه

❁ ولكني لا أجد أي دليل يرشدني اليه

❁ ستجد الدليل اذا بحثت .. انني اتوسل اليك يا سيدي الرئيس أن تهتم بالامر .. وأن تبحث .. انني أصبح اتعس خلق الله اذا القي القبض عليك .. وبعد فهل ترضي أن توجه اليك تهمة القتل ؟ امامك هذا اليوم للبحث والاستدلال .. ومعرفة القاتل .. ان لوبين يستطيع عمل المعجزات .. اذا شاء

وفي هذه الاثناء .. سمع الرجلان صوت وقوف سيارتين بالباب كانت السيارتان محملتين برجال الشرطة بغير شك . إذن فقد حوصر البيت برجال البوليس . جمد برينا في مكانه .. والتفت الي مازيرو فرآه ينظر اليه في ضراعة قال له :

❁ من الانصاف لك يا مازيرو أن اعترف بانك كنت بعيد النظر في هذا الموقف .. وكنت علي حق في مخاوفك .. وانني اذا لم اتمكن من القبض علي القاتل أو القتلة خلال الساعات القلائل المقبلة .. فلا مناص من أن أقضي ليلتي في أعماق السجن

ك

كانت الساعة التاسعة صباحا عندما دخل مدير البوليس الجناح الذي وقعت فيه تلك الجريمة الغامضة المزدوجة .

لم يلق باله الي الدون لويس . بل ولم يحييه . ولولا انه كان علي شيء من الحرص فذكر للمحققين الذن جاءوا برفقته طرفا من قصة برينا لظن المحققون أن هذا الأخير ليس إلا أحد مساعدي مازيرو

فحص مسيو ديماليون الجثتين . واصغي الي مازيرو وهو يسرد عليه حوادث الليلة السابقة في المجاز . ثم صعد الي الطابق الاول من المنزل . وطلب مقابلة مدام فوفيل . فذهبت في الحال لمقابلته

وكانت أنباء الجريمة المزدوجة قد تسربت الي الخدم فساد الجزع والاضطراب . وأراد الدون برينا أن يتنهز هذه الفرصة . فتسلل الي الباب الخارجي . ولكنه لم يكد يهم بالخروج. حتي وقف في وجهه رجلان من رجال الشرطة .

قال له أحدهما :

- المرور ممنوع الآن .
- ولكن ..
- لاسبيل للجدل .. بهذا صدرت اليئا الأوامر .

❁ ومن الذي أصدر هذه الاوامر ؟

❁ مدير البوليس .

فضحك برينا وقال :

❁ حقا انني سيئ الطالع .. فقد قضيت الليل كله ساهراً وأكاد الآن أموت جوعاً .. أفلا يوجد شيء يؤكل ؟

ومر الخادم سلفستر في هذه اللحظة . فاستوقفه احد الشرطيين ودار بينهما حديث قصير قصد الخادم علي أثره الي قاعة الطعام وأتي ببعض البسكويت وقدمه الي برينا . فتناوله هذا شاكراً .

قال لنفسه وهو يبتعد :

❁ الآن تحقق من أنني وقعت في الفخ .. هذا ماكنت أريد معرفته .. ولكن مسيو ديماليون يفتقر الي المنطق الصحيح لانه اذا أراد أن يحتجز هنا أرسين لوبين .. فان رجال البوليس الذين جاء بهم معه بل وأضعافهم لا يستطيعون الاحتفاظ بلوبين .. أما اذا كان يريد حجز الدون لويس برينا .. فان الدون برينا لايمكن أن يفكر في الفرار لان الفرار يحرمه من ميراث كوزمو مورننجتن .

وعلي ذلك قرر البقاء والاستسلام فجلس في الدهليز في انتظار ما تتمخض عنه الحوادث .

رأي المحققين من خلال الباب وهم يقومون بالتحقيق وفحص الآثار . وأقبل الطبيب الشرعي ففحص الجثة فحصا تمهيديا أثبت وجود مثل آثار السم التي وجدها بجثة فيرو في اليوم السابق .

ونقل رجال البوليس جثتي الأب والابن الي غرفة في الطابق الثاني . وعاد مدير البوليس فسمعه الدون برينا وهو يقول لاحد المحققين .

✿ مسكينة هذه المرأة .. انها لم تستطع أن تفهم .ولما فهمت سقطت علي الارض ككتلة من الخشب . وفقدت الرشد . تصوروا هذا . أن تفقد المرأة زوجها وولدها في وقت واحد؟

ولم يسمع الدون برينا ولم ير شيئا بعد ذلك لأن مدير البوليس أمر باغلاق الباب الموصل بين غرفة المكتب والدهليز .

وبقي برينا في مكانه لايتزحزح .. الي أن انتصف النهار فجاءه الخادم سلفستر بشيء من الطعام ..

وبدأت فترة انتظار أخري .. طويلة .. مؤلمة .. واستمر التحقيق بلا انقطاع .. حتي شعر برينا بالسأم والملالة فأغمض عينيه .. ونام في مقعده .. وحول الساعة الرابعة .. أيقظه المفتش مازيرو .. وطلب اليه أن يرافقه .

وتثاءب برينا وفرك عينيه .. وسار برفقة زميله .

سأله مازيرو :

❁ هل عرفته ؟

❁ من ؟

❁ القاتل !

❁ ذلك أمر غاية في البساطة .

فهتف مازيرو بسرور : هذا من حسن الحظ .. ولولا ذلك لالقي القبض عليك في الحال .

ودخل برينا غرفة المكتب . ووجد نفسه بين مدير البوليس وقاضي التحقيق ورجال النيابة . ومدير الامن العام . واثنين من مفتشي البوليس وثلاثة من رجال الشرطة .

وما كاد يستقر به المقام داخل الغرفة حتي طرق أذنيه صوت أحد باعة الصحف في الشارع وهو يصيح .

" جريمة شارع سوشيه !! قتل المفتش فيرو !! حيرة البوليس "

فعض مسيو ديماليون علي شفته وأطرق برأسه . وقال برينا لنفسه :

❁ ان مازيرو علي حق .. لابد أن يجد رجال البوليس "فريسة" يلقون القبض عليها .. فاذا لم اقتنص القاتل هذه الليلة

كنت أنا تلك الفريسة . فتشجع يالوبين .. لقد حان وقت النضال

وخالجته هزة سرور .. حين شعر باقتراب ساعة النضال والنشاط ..

كان يعلم عن مدير البوليس شغفه بالاشراف علي تحقيق الجرائم الهامة .. وحرصه علي أن يخرج منها فائزاً منتصراً .

كذلك كان يعلم الشيء الكثير عن دهاء مدير الامن العام وذكاء قاضي التحقيق .. فأجال الطرف بينهما في هدوء .. ثم وقف مكتوف الساعدين في انتظار ان يهاجم .. وتولي مدير البوليس قيادة المعركة . فبدأ الهجوم . وشعر برينا من الملحمة الاولي ان الرجل لم يعد يكن له اي نوع من العطف .

قال مدير البوليس :

* انك اردت بصفتك ممثل كوزمو مورننجتن ومنفذ وصيته ان تقضي ليلتك في هذا المنزل . وقد ارتكبت في المنزل أثناء وجودك به جريمتا قتل .. فرأينا من مصلحة التحقيق ان نسألك عن معلوماتك بصدد حوادث الليلة .

فقال برينا : لعلك يا سيدي تريد ان تقول انك وقد رخصت لي في قضاء الليلة هنا .. فانك تري لزاماً ان تسمع اقوالي .. لتقارن بينها وبين شهادة مفتش البوليس مازيرو .

✿ نعم .

✿ وهل افهم من ذلك انك ترتاب في موقفي

فتردد مسيو ديماليون . واشاح بوجهه كأنه لا يريد ان تلتقي عـيناه بعـيني برينا فـيري تلك النظرة الصريحة التي ارتسمت فيهما

بيد انه ما لبث ان قال في صراحة :

✿ ليس لك ان تلقي علي اسئلة يا سيدي .

فأطرق برينا برأسه وقال :

✿ انني طوع امرك ياسيدي .

✿ تفضل واذكر لنا بالتفصيل كل ماتعلم .

فسرد برينا معلوماته بالتفصيل . ولما فرغ من كلامه . قال مدير البوليس:

✿ هناك نقطة نطلب عنها المزيد من الايضاح . عندما دخلت غرفة مسيو فوفيل في منتصف الساعة الثالثة صباحاً .. الم تر ما يدلك علي انه ميت ؟

✿ كلا يا سيدي .. ولو اننا ادركنا انه ميت .. لما ترددت انا وصديقي مازيرو في اخطار البوليس .

❁ هل كان باب الحديقة مقفلا ؟

❁ طبعاً ، لاننا فتحناه في الصباح

❁ وكيف ؟

❁ بالمفتاح

❁ وكيف تسني للقتلة ان يفتحوا الباب من الخارج ؟

❁ بمفاتيح مصطنعة طبعاً

❁ هل لديك من الادلة ما يثبت أن باب الحديقة فتح من الخارج بمفتاح مصطنع ؟

❁ كلا يا سيدي

❁ واذن يجب علينا الي أن يقوم الدليل ، أن نفترض ان الباب لم يفتح من الخارج .. وأن القاتل كان بداخل المنزل

❁ ولكن .. لم يكن بالداخل سواي والمفتش مازيرو

فساد صمت عميق له معناه .. وأيد هذا المعني كلام مسيو ديماليون إذ قال :

❁ هل قضيت الليل ساهراً ؟

❁ بل استولي عليّ النعاس آخر الليل

❁ ألم تنم قبل ذلك ؟

❁ كلا

❁ والمفتش مازيرو ؟

فتردد برينا لحظة .. سأل نفسه في خلالها تري هل أصغي مازيرو الي صوت الضمير والواجب فذكر الحقيقة ؟ أو أنه اراد مساعدته علي النجاة فكذب ؟   أجاب :

❁ لقد نام المفتش مازيرو في مقعده .. وقضي ساعتين نائما ولم يستيقظ إلا عندما عادت مدام فوفيل

وساد الصمت مرة أخري

قال مدير البوليس : اذن كان في استطاعتك خلال الساعتين اللتين قضاهما مازيرو نائما ان تفتح الباب وتفتك بفوفيل وابنه

وسار التحقيق كما توقع برينا وشعر هذا الأخير بالدائرة تضيق حوله .. ولم يمنعه حرج موقفه من أن يعترف بينه وبين نفسه بان قاضي التحقيق كان بارعا غاية البراعة في القاء الاسئلة ودعم نظرية الاتهام بالأدلة المنطقية المعقولة ..

قال مدير البوليس موجها كلامه الي الدون برينا :

❁ بالأمس .. فتح مسيو فوفيل خزانته امامك وبحضور المفتش مازيرو .. فماذا كان في داخل الخزانة ؟

❁ كان بداخلها كومة من الاوراق بينها دفتر أسود صغير

❁ ألم تمس هذا الدفتر ؟

❁ كلا .. ولم أمس الخزانة .. ولابد أن يكون المفتش مازيرو قد قال لك ذلك .. واعترف انه ابعدني عن الخزانة ليسير التحقيق وضبط الحادث في مجراه القانوني الرسمي

❁ واذن لم يحدث اي اتصال بينك وبين الخزانة ؟

❁ كلا

❁ انني اوجه اسئلتي الي شخص يفهم الشيء الكثير من تحقيقات رجال البوليس .. فارجوك أن تجيبني بصفتك هذه

❁ سأجيبك بقدر ما استطيع

❁ اذا حدث ووجدنا في الخزانة شيئا .. ماسة مثلا .. وثبت لنا أن هذه الماسة هي ملك لشخص نعرفه وقضي ليلته في هذا المنزل .. فماذا يكون رأيك في هذا الشخص ؟

ففكر برينا لحظة ثم اجاب :

❁ رأيي أن هذا الشيء أو هذه الماسة تعتبر دليلا علي وجود صلة بين صاحبها والجريمة التي ارتكبت

❁ واذن فمن حقنا ان نرتاب في صاحب هذه الماسة ؟

❁ نعم

* ذلك هو رأيك القاطع ؟
* نعم

وهنا اخرج مسيو ديماليون من جيبه ورقة مطوية نشرها بين أصابعه .. وتناول من بين طياتها زمردة صغيرة عرضها أمام الابصار وهو يقول :

* اننا وجدنا هذه الزمردة داخل الخزانة . وقد كانت بلا أدني شك جزءا من الخاتم الذي في خنصرك

فصر برينا باسنانه .. شعر كما لم يشعر من قبل بقوة أعدائه نظر الي الخاتم الذي في خنصره .. كانت بهذا الخادم زمردة .. تحيط بها دائرة من الماسات الصغيرة ، لم يجد أثرا للزمردة ، كانت هي بعينها التي عرضها مسيو ديماليون بين أصابعه

سأله مدير البوليس :

* ما قولك في هذه الزمردة ؟
* أقول ان هذه الزمردة كانت جزءا من هذا الخاتم الذي أعطانيه كوزمو مورتنجتن عندما أنقذت حياته أول مرة
* فقد اتفقنا علي أن من حقي أن ارتاب بك ؟
* نعم .. اتفقنا

واخذ الدون برينا يسير في الغرفة جيئة وذهابا .. وقد شعر

من حركات رجال الشرطة الذي وقفوا يحرسون الابواب والمنافذ أن القبض عليه أصبح مؤكدا ..

كان كلما اقترب من أحد الشرطة وهو يسير في الغرفة .. تأهب الشرطي للانقضاض عليه كأنما كانوا جميعا في خوف من أن يفلت منهم ، ارسل برينا بصره نحو مازيرو فوجد في عينيه نظرة ضراعة وتوسل كان مازيرو يقول له بعينيه :

❁ تكلم ما الذي يمنعك من الارشاد الي القاتل .تكلم وأسرع

ابتسم الدون لويس وسأل مدير البوليس بقوله :

❁ وماذا تريد مني الآن ؟

❁ ماذا أريد منك ..

ولم ينتظر برينا حتي يتم مدير البوليس كلامه .. بل تناول مقعداً جلس عليه بالقرب من مسيو ديماليون وهو يقول :

❁ لنتحدث ..

فقلب مدير الامن شفته وقال :

❁ لا أعلم فيم يجب ان نتحدث

❁ سأوضح لك الموقف في كلمات قلائل .. فأصغ إلي ، انك يا سيدي قد منحتني بالأمس ترخيصا لا يخليك من

المسئولية . ولذلك يهمك أن تضع يدك علي المتهم .. علي أي متهم .. مهما كلفك ذلك .. وقد وقع اختيارك علي لأكون أنا القاتل .. أما الأدلة التي تسوقها لاثبات ادانتي . فهي وجودي في المنزل . ووجود باب الحديقة مقفلا . ونوم مازيرو في الفترة التي ارتكبت فيها الجريمة . واكتشاف هذه الزمردة في الخزانة مع اختفاء الدفتر الذي سجل فيه فوفيل تاريخ حياته والدلائل التي ترشدنا الي قاتله أو قاتليه . وأنا اعترف بأن الادلة قوية سيما اذا اضفنا اليها انني الشخص الذي يفيد أكثر من غيره من موت فوفيل وولده . لأن عدم وجود وريث لكوزمو مورننجتن يجعلني الوريث الوحيد صاحب الحق المطلق في ثروة تقدر بمائتي مليوني فرنك .

وأمام هذه الأدلة الساحقة لا أجد من سبيل آخر غير ان اتبعك الي إدارة البوليس فالي السجن .. أو ..

❁ أو ؟!

❁ أو ان اسوق اليك المجرم .. المجرم الحقيقي

فابتسم مدير البوليس ابتسامة تهكم . ونظر الي ساعته وقال:

❁ انني في الانتظار .

❁ ان المسألة لن تستغرق وقتاً طويلاً ياسيدي بشرط ان تسمح لي بشيء من الحرية . وان تفسح لي صدرك .

❁ انني في الانتظار .

وهنا التف برينا الي مازيرو وقال له :

❁ يا مسيو مازيرو .. ارجو ان تنبئ الخادم سلفستر بأن مدير البوليس يطلب مقابلته .

فنظر مازيرو الي مدير البوليس . وأشار اليه هذا بأصبعه ان يطيع برينا فأطاع وخرج .

قال الدون برينا محدثاً مدير البوليس :

❁ أصغ الي ياسيدي .. اذا كان وجود الزمردة في الخزانة يعتبر في نظرك دليلاً بارزاً . فانه يعتبر في نظري امراً علي جانب عظيم من الخطورة والاهمية . واليك السبب .

هذه الزمردة لابد قد انفصلت عن الخاتم ليلة أمس . وسقطت علي السجادة .

وهناك أربعة اشخاص فقط كان في استطاعتهم ان يلاحظوا سقوط الزمردة .. وان يتخذوا منها سلاحاً للقضاء عليّ بوضعها في الخزانة .. وأحد هؤلاء الاشخاص .. هو واحد من رجالكم .. واعني به المفتش مازيرو .. وهذا الرجل لا يفيد من اتهامي

والايقـاع بي . ولا مـصلحـة له في ذلـك .. والشـخص الثـاني هو المهندس فوقيل .. وقد توفي .. فلا وجه لذكره في هذا الصدد .. والشخص الثالث هو الخادم سلفستر .. ولذلك احب ان اقول كلمة لهذا الرجل .

وقد كان استجواب سلفستر قصيراً ومقتضباً. فقد استطاع الخـادم ان يثـبت انه قـضي سـهـرته في المطبخ في لعب الورق مع الطاهية وخـادمة اخري .. الي ان عـادت مدام فـوفيل من الاوبرا فقابلها بالباب

قـال له برينا : احب ان اقـول لك كلمـة اخـري .. هل رأيت في صحف الصباح صورة المفتش فيرو وقرأت نبأ موته ؟

- نعم .
- هل كنت تعرف المفتش فيرو ؟
- كلا .
- ومع ذلك فـانه لا يبعد أن يكون قد جاء الي هذا المنزل قبل مصرعه بساعات .
- لا علم لي بـذلك .. فكثـيـرون من أصدقـاء مـسيـو فـوفيـل وعـملائه كـانوا يصلون الي مكتـبه عن طريق باب الحديقة وكان يفتح لهم الباب بنفسه ..

❁ هل لديك شيء آخر تريد أن تفصح عنه ؟

❁ كلا .

❁ اذن أرجو أن تخطر مدام فوفيل بأن مدير البوليس يطلب التحدث اليها ..

فخرج سلفستر . وتبادل مدير البوليس وقاضي التحقيق نظرة تنم عن الدهشة . وقال أولهما بحدة :

❁ ماذا تعني ياسيدي ؟ لاشك انك تريد اتهام مدام فوفيل بأن لها أصبعاً في الموضوع .

❁ يا مسيو ديماليون .. ان مدام فوفيل هي الشخص الرابع الذي يحتمل أن يكون قد لاحظ سقوط الزمردة .

❁ وهل يجوز من أجل ذلك أن ترتاب في أنها قتلت زوجها وسممت ابنها ؟

❁ انا لا أرتاب في شيء ياسيدي .

❁ إذن ؟

فلزم برينا الصمت .. ولم يستطع مدير البوليس كتمان ضجره وحنقه . قال :

❁ حسنا .. انني آمرك بأن تلزم الصمت التام .. أي سؤال تريد أن تلقي علي مدام فوفيل ؟

❁ اريد ألقي عليها سؤالا واحداً ياسيدي .. هو : هل هي تعرف أحداً غير زوجها .. من سلالة أسرة روسل .
أصحاب الحق في ثروة كوزمو مورننجتن ؟

❁ وما غرضك من هذا السؤال ؟

❁ لانه اذا كان يوجد أحد من سلالة أسرة روسل .. فانني لا أكون الوريث الوحيد لملايين مورننجتن .. وبالتالي .. لا أكون الشخص الذي يفيد من موت مسيو فوفيل وولده .

فغمغم مسيو ديماليون :

❁ هذا صحيح .. هذا صحيح .

وفي هذه اللحظة أقبلت مدام فوفيل ..

كانت لاتزال محتفظة بكل جمالها وفتنتها رغم شحوب لونها .. واحمرار جفنيها بتأثير البكاء بيد أن عينيها كانتا تعبران عن مزيج من الحزن والجزع والرعب .

استقبلها مدير البوليس واقفا وقال لها :

❁ تفضلي بالجلوس ياسيدتي .. واغفري لي ازعاجي اياك على ما بك من حزن وانزعاج . ولكنني رأيت أن أفرغ من التحقيق باسرع مايمكن ليتسنى لنا باسرع ما يمكن كذلك أن ننتقم للعزيزين اللذين تبكينهما .

فتدحرجت الدموع من عينيها الساحرتين وقالت وهي تنتحب :

❁ ما دام التحقيق بحاجة الي فانني استعداد .

❁ أريد أن أستفسر منك عن أمر .. ان حماتك ، أعني والدة زوجك قد توفيت .. أليس كذلك ؟

❁ نعم ياسيدي :

❁ انها ولدت ونشـأت في " سان اتيان " وكان والدها يدعي (روسل) أليس كذلك ؟

❁ نعم ..

❁ كان اسمها اليزبيث روسل ؟

❁ نعم ..

❁ هل كان لزوجك أخ أو أخت .

❁ كلا ..

❁ اذن لم يبق من نسل اليزابيث روسل أحد علي قيد الحياة؟

❁ كلا .. لم يبق أحد .

❁ هذا حسن .. ولكن اليزابيث روسل كانت لها اختان .

❁ هذا صحيح .

❁ كانت إحدهما - وهي الكبري - تدعي هرملين روسل وقد

رحلت عن فرنسا وأوربا وانقطعت أنباؤها بعد ذلك أما الصغري

❁ كانت تدعي ارماندا روسل وهي والدتي ..

❁ ماذا ؟

❁ أقـول ان (ارمـاندا روسل) هي والدتي . وقـد اقـتـرنت بهيبوليت فوفيل ابن خالتي اليزابيث روسل .

كان ذلك اكتشافا جديداً خطيراً .

لقد مات هيبوليت فوفيل وولده ادمون فانقرضت بذلك ذرية اليزابيث روسل .. وبانقراض هذه الذرية ينتقل ميراث كوزمو مورننجتن الي (ارماندا روسل) .. التي تنحدر منها مدام فوفيل .

تبادل مدير البوليس وقاضي التحقيق نظرة ذات معني . ثم تحول الرجلان في وقت واحد شطر برينا . ولكنه لزم الصمت .

قال مدير البوليس محدثا مدام فوفيل :

❁ هل لك أخ أو أخت ياسيدتي ؟

❁ كلا ياسيدي .. انني وحيدة والديّ .

كانت وحيدة والديها . وذلك يجعلها - بعد موت زوجها وابنها - الوريثة الوحيدة لكل ملايين كوزمو مورننجتن .

❁ وفي الحال تطرق إلي اذهان المحققين خاطر مزعج .. ولكن احدا منهم لم يجد الجرأة علي التعبير عنه .

نظر مدير البوليس الي برينا فتناول هذا قلما وكتب بضع كلمات علي ورقة قدمها الي مسيو ديماليون . فقرأ مدير البوليس ماكتبه برينا وفكر لحظة ثم وجه الي مدام فوفيل السؤال التالي :

❁ كم عمر ولدك ادمون ؟

❁ ١٧ سنة .

❁ ولكن يخيل الي انك لازلت في مقتبل العمر وان مثل هذا

فقاطعته : ان ادمون لم يكن ابني . ولكنه ابن زوجي من امرأته الاولي التي توفيت .

❁ آه .. ادمون فوفيل ليس ..

ولم يتم مدير البوليس كلامه .

تبدل موقف مدام فوفيل في أسرع من لمح البصر . فلم تعد في نظر المحققين امرأة تكسبها امومتها حصانة تجعل المحقق يفكر مرتين قبل ان يتهمها بقتل ابنها .. بل أصبحت امرأة تحيط بها ظروف وملابسات تحتم استجوابها .. وايقافها موقف الاتهام .

كانت في الحق علي جانب عظيم من الجمال ودماثة الخلق ..

ولكن هل يحول جمالها .. وتحول فتنتها دون اقدامها علي جريمة القتل للاستيلاء علي ذلك الميراث الضخم ؟

ان الكثيرات من النساء يهون عليهن قتل أزواجهن .. وأولادأزواجهن .. من أجل ثروات أقل عشرات المرات من الثروة التي تركها كوزمو مورننجتن .

سألها مدير البوليس :

❁ هل تعرفين هذه الزمردة ياسيدتي ؟

فتناولت الزمردة وقلبتها بين أصابعها ولم يظهر عليها شيء من الاضطراب .

أجابت : كلا انني أملك عقدا من الزمرد ولكن لا أتزين بهذا العقد ، بيد انني واثقة من أن أحجاره أضخم من هذه الزمردة .

❁ لقد وجدنا هذه الزمردة في خزانة زوجك .وعلمنا انها كانت في خاتم شخص نعرفه .

فقالت مدام فوفيل بحدة : في هذه الحالة يجب البحث عن هذا الشخص ..

فقال مدير البوليس وهو يشير باصبعه الي برينا :

❁ انه هنا .. وها هو .

فنظرت مدام فوفيل الي برينا بحدة .. ومرت بجسدها قشعريرة هتفت : هذا الرجل كان هنا ليلة أمس .. وقد رأيته يتحدث مع زوجي آه .. كان معه هذا السيد .

وإشارت باصابعها الي المفتش مازيرو

واستطردت :

❁ يجب استجوابهما لمعرفة سبب وجودهما مع زوجي ليلة مصرعه وما دامت هذه الزمردة هي لاحدهما .. فمعني ذلك .. المعني واضح ياسيدي .. أليس كذلك ؟

كان الاتهام صريحا .. ولكنه يفتقر الي اللباقة .. بل انه كان مؤيدا لكلام برينا حين قال " لقد وضع هذه الزمردة في الخزانة شخص رآني هنا ليلة أمس وأراد أن يوقعني في ورطة "

سألها مدير البوليس : هل تسمحين لي برؤية عقدك الزمردي يا سيدتي .

❁ طبعا. انه مع سائر مجوهراتي في دولابي الخاص سآتي به

❁ لا تزعجي نفسك يا سيدتي .. هل تعرف وصيفتك موضع العقد ...

❁ نعم ..

❁ في هذه الحالة يستطيع المفتش مازيرو أن يتصل بالوصيفة ويطلب اليها احضار العقد

وساد الصمت في الغرفة علي أثر خروج مازيرو . وكان يبدو علي مدام فوفيل انها شديدة الحزن والتأثر ..

أما مسيو ديماليون .. فانه لم يحول بصره عن وجهها

وعاد مازيرو . ومعه الوصيفة حاملة علبة ملأي بالحلي والمجوهرات

تناول مسيو ديماليون عقد الزمرد . وفحصه ولاحظ في الحال أن أحجاره تختلف كثيرا عن الحجر الذي وجد في الخزانة .. ووجد أن جميع أحجار العقد تامة .. وانه يبحث في علبة الحلي . اذا به يري شيئا . هتف في دهشة :

❁ أري هنا مفتاحين ..

وأخرج من العلبة مفتاحين متشابهين كل الشبه .. لا يفترقان عن مفتاح الباب الذي يوصل بين غرفة فوفيل والحديقة

نظر مدير البوليس الي وجه المرأة نظرة تساؤل . ولكنها ظلت محتفظة بثباتها . فلم تتحرك عضلة واحدة من عضلات وجهها . ولم تبدر منها أية بادرة تدل علي أن اكتشاف المفتاحين أزعجها قالت ببساطة :

❁ انني لا اعلم عن هذين المفتاحين شيئا

فصاح مسيو ديماليون :

❁ يا مازيرو .. أرجو ان تعالج فتح باب الحديقة بأحد هذين المفتاحين

فتناول مازيرو المفتاحين . وجرب أحدهما ففتح الباب .

قالت مدام فوفيل آه تذكرت الآن . ان زوجي أعطاني هذين المفتاحين منذ زمن بعيد

قالت ذلك ببساطة وهدوء دون أن يخطر لها ببال أنها تضع بين يدي المحقق سلاحا ماضياً لمهاجمتها . بيد ان المحقق لا يزعجه في الواقع إلا مثل هذه البساطة .. وهذا الهدوء ذلك لأنه يجد نفسه منهما في حيرة شديدة .. فهو لا يستطيع أن يعتبرهما دليلا علي البراءة . ولا يستطيع أن يجزم بانهما مجرد احتيال وتصنع للتأثير علي المحقق

ان وجود هذين المفتاحين في حوزتها دليل مادي ضدها ولكن هل من المعقول ان الشخص الذي يدبر تلك الجريمة المزدوجة بهذه المهارة العجيبة يغفل عن الخطر الذي يستهدف له بالاحتفاظ بمثل هذا الدليل المادي ؟!

شعر الموجودون جميعاً بفضول ورغبة في ان يلقوا علي هذه المرأة عشرات الأسئلة .

سألها مدير البوليس :

❁ عندما ارتكبت هذه الجريمة المزدوجة . كنت أنت غائبة عن المنزل .. اليس كذلك ياسيدتي ؟

❁ نعم ..

❁ كنت في دار الاوبرا ؟

❁ نعم .. ثم قصدت بعدئذ الي بيت صديقة لي تدعي مدام ارسنجر .

❁ هل رافقك سائق سيارتك ؟

❁ انه ذهب بي الي الاوبرا .. ثم طلبت اليه أن يعود بالسيارة إلي (الجراج) وأن يلحق بي بعدئذ الي بيت مدام ارسنجر ليعود بي الي المنزل .

فهتف مسيو ديماليون :

❁ آه .. وكيف قطعت المسافة إذن بين دار الاوبرا وبيت مدام ارسنجر ؟

وهنا ادركت مدام فوفيل لأول مرة انها تستجوب جديا . وانها موضع شك وارتياب فظهرت عليها علامات القلق والاضطراب وأجابت :

❁ انني استأجرت سيارة .

❁ من أي شارع ؟

❁ من ميدان االأوبرا .

❁ كان ذلك حول منتصف الليل مثلاً؟

❁ كلا .. كان ذلك في منتصف الساعة الثانية عشرة . لأنني غادرت المسرح قبل نهاية التمثيل .

❁ هل كان يهمك أن تسرعي الي بيت صاحبتك ؟

❁ لا أعلم . انني استعرض ما حدث .

❁ هل قصدت الي بيت صديقتك مباشرة ؟

❁ تقريبا .

❁ ماذا تقصدين بكلمة " تقريبا " ؟

❁ الواقع انني شعرت بصداع . فامرت السائق بان يذهب بي الي الشانزليزية .. ثم عدنا من الشانزليزية ببطء .

وكان اضطرابها في ازدياد . فلما انتهت إلي هذه النقطة تلعثمت . وصمتت . ولم يكن لصمتها معني آخر إلا انها شعرت بالملالة والسأم . فقررت العدول عن النضال . كان موقفها مؤلما وسط اولئك الرجال الذين راحوا يحدجونها بنظرات الارتياب والعطف .

أما مسيو ديماليون . فقد شعر بمتانة مركزه . وبأنه اصبح من

الانتصار قاب قوسين أو أدني . ورأي أنه ليس من الشهامة أن يسحق المرأة التعسة بهجماته .

حانت منه التفاتة فرأي برينا ينظر اليه بحدة .

قدم اليه هذا الاخير قصاصة ورق وهو يقول :

● اليك رقم تليفون مدام ارسنجر يا سيدي .

فغمغم مسيو ديماليون :

● هذا صحيح .. يجب أن نستوثق .

وتناول السماعة .واتصل تليفونيا بمنزل مدام ارسنجر .

وتحولت اليه جميع الانظار . وارهف القوم جميعا آذانهم لسماع ما يدور من الحديث .

قال مدير البوليس متحدثا :

● آلو .. آلو .. من المتكلم ؟ كبير الخدم ؟ هل أستطيع التحدث الي مدام ارسنجر ؟ ليست موجودة ؟ وزوجها ؟ ليس موجوداً كذلك ؟ لا بأس . اظن انك تستطيع امدادي بالمعلومات التي اريدها .. انا ديماليون مدير البوليس . اريد أن أعرف كم كانت الساعة عندما وصلت مدام فوفيل الي بيت مدام ارسنجر ليلة أمس ؟

ماذا تقول ؟ أنت واثق ؟ كانت الساعة الثانية صباحا ؟ ليس قبل ذلك ؟ ثم انصرفت في الحال . أي بعد عشرة دقائق تقريباً ؟ حسناً شكراً لك .أنت واثق من أنها ذهبت اليكم الساعة الثانية؟ أكرر لك شكري .

وعندما وضع مسيو ديماليون السماعة وتحول الي مدام فوفيل وجد نفسه أمام مخلوقة تعسة . تنظر اليه في جزع وذعر . وشعر القوم جميعاً في لحظة واحدة انهم امام امرأة . إما أن تكون بريئة وإما تكون ممثلة علي جانب عظيم من البراعة . تعرف كيف تطلع علي الناس بوجه تتجلي عليه مظاهر البساطة والسذاجة والبراءة غمغمت .

- ماذا تريد ياسيدي ؟ وماذا تعني ؟ أرجوك أن تفصح .

فسألها مدير البوليس في بساطة :

- ماذا فعلت أمس في الوقت بين منتصف الساعة الثانية عشرة والساعة الثانية صباحاً ؟

كان السؤال غاية في الخطورة والاهمية .

فهمت مدام فوفيل أن معناه " اذ لم تقدمي حسابا دقيقاً عن حركاتك وأعمالك خلال هذا الوقت . كان من حقنا أن نتهمك بالقتل أو بالاشتراك في قتل زوجك وابنه "

فهمت أن ذلك هو معني السؤال . فخيل اليها أن الارض تميد تحت قدميها . وان ساقيها لاتقويان علي حملها

غمغمت : هذا مخيف . هذا مخيف .

أعاد مدير البوليس السؤال :

❁ ماذا فعلت ؟ هذا سؤال يجب أن يكون جوابه حاضراً في ذهنك

صاحت بلهجة محزنة :

❁ يا الهي . كيف خطر ببالك . كيف تصورت هذا ؟

فأجاب :

❁ أنا لا أتصور شيئا بعد . ان كلمة واحدة تنطقين بها ترد الامور الي نصابها وتطهر الحقيقة من أدران الشك .

ورأي القوم علي وجهها من دلائل الحزم والعزم ماحملهم علي الظن بأنها ستنطق بتلك الكلمة في غير تردد . فتدفع بها عن نفسها تهمة من أبشع التهم .

ولكنها عادت فاضطربت فجأة . وارتج عليها القول وغمغمت كلاما غير مفهوم . ثم تهالكت علي أحد المقاعد وراحت تنتحب بصوت مسموع . وجسمها كله يرتجف مع تنهداتها وآهاتها .

كان تخاذلها هذا . وعجزها عن تحديد أعمالها وقت ارتكاب الجريمة اعترافا صريحا بأنها تخفي أمرا . وأن لهذا الامر الذي تخفيه صلة وثيقة بالجريمة المزدوجة .

انتحي مدير البوليس بقاضي التحقيق ناحية . ودار الحديث بينهما في همس .. فانتهز مازيرو هذه الفرصة واقترب من الدون برينا وغمغم قائلاً :

❁ ألم أقل لك أنك تستطيع اكتشاف القاتل إذا اردت .. فما أعظم براعتك يارجل .

وظهرت في عينيه وعلي وجهه علامات السرور والارتياح .. لأن (رئيسه) عرف كيف ينجو من ورطته .

قال مازيرو :

❁ سيزينون معصمها الجميل بالأصفاد

فهمس برينا :

❁ كلا .. فالادلة ليست قوية .

❁ ماذا تقول ؟ الادلة ليست قوية ؟ وما الذي يمنعك من أن تسدد اليها الطعنة الأخيرة القاضية أيها الرئيس ؟ إنها وحش مفترس يجب القضاء عليه .

فلم يجبه برينا . لانه كان في شغل بالتفكير في تلك الظروف و والملابسات العجيبة الي أوقفت مدام فوفيل موقف الاتهام .

بيـد ان الدليل القـاطع الحـاسم .. الذي يؤيد جـمـيع هذه الملابسات ويمكن القانون من الاخذ بخناق المتهمة . هذا الدليل لا يملك سواه ان يتقدم به الي المحقق فيقطع الشك باليقين .

نعم ان الدليل القاطع الحاسم الذي يمكن الاتهام من الوقوف علي قدميه . هو اثر الاسنان الذي رآه علي التفاحة الفجة التي قذف بها بين اعشاب الحديقة في الصباح الباكر .

ان اثر هذه الاسنان هو في نظر القانون بمثابة بصمات الاصابع

كان هو الوحيد الذي يستطيع ان يقدم هذا الدليل القاطع ... ولكنه مع ذلك تردد ... ونظر بمزيج من الشفقة والاشمئزاز الي تلك المرأة التعسة التي تدل جميع الدلائل علي انها فتكت بزوجها .. وقتلت ابنه البريء .

فكر ... هل يوجه اليها الضربة القاضية . وهل من حقه ان يلعب دور المنتقم ؟ ولكن اذا حدث وكان مخطئاً في ظنونه !!

وانه لا يزال يفكر في الامر وينظر الي الموقف من جميع نواحيه اذا بمدير البوليس يقترب منه وهو يسير ببطء وقد سقط رأسه فوق صدره .

سأل :

❁ ما رأيك في هذا كله ؟

ألقي هذا السؤال علي مازيرو .... ولكنه كان في الواقع يقصد به الدون برينا ...

هز مازيرو رأسه . ولزم الصمت فقال برينا :

❁ من رأيي يا سيدي ان هذه المرأة اذا كانت مجرمة .. فهي لا تعرف كيف تدافع عن نفسها .

❁ ومعني ذلك ؟

❁ معني ذلك ان دورها في الجريمة لا يعدو ان يكون دور الشريك او دور الآلة الصماء في يد شريك

❁ شريك ؟!

❁ تذكر ياسيدي قول زوجها امس في ادارة البوليس " ويل للاشقياء ويل للاشقياء " . وذلك معناه ان هناك اكثر من شخص واحد يعملون علي الفتك به ... والرأي عندي انه يوجد شريك واحد علي الاقل ... هو ذلك الذي تعقب (فيرو) في مقهي (الجسر الجديد) وسرق رسالته . وقد وصف الخدم هذا الرجل بأنه متوسط القامة يحمل في يده عصا ذات مقبض من الفضة علي شكل رأس البجعة .

فقال مدير البوليس :

❁ واذن في هذه الحالة يتعين علينا ان نلقي القبض علي مدام فوفيل علي سبيل الاحتياط . حتي يتسني لنا القبض علي شريكها أو شركائها .

فلم يجب برينا . واستطرد مدير البوليس قائلاً :

❁ بيد ان القبض عليها يتطلب دليلاً مادياً ملموساً يدعم الادلة المنطقية التي ادلينا بها . فهل لم تقع علي آثار اقدام في الحديقة ؟

❁ كلا . لم اقع علي اي اثر يا سيدي . لأن البحث الذي قمت به كان في الواقع سطحياً .

❁ اما بحثنا فكان غاية في الدقة . ولكننا لم نعثر في هذا المكان علي اي اثر يستحق الذكر

❁ والحديقة ؟

❁ فتشناها كذلك

❁ بعناية شديدة ؟

❁ لا اظن ذلك . بيد انه يخيل الي ..

فقاطعه برينا :

✿ ان القاتل او القتلة قد اجتازوا الحديقة مرتين .. قبل الجريمة وبعدها . فلا يبعد اذن ان يكونوا قد تركوا وراءهم اثراً يدل عليهم .

فتحول مسيو ديماليون الي مازيرو وقال له :

✿ اذهب الي الحديقة يا مازيرو وفتشها تفتيشا دقيقاً

فخرج مازيرو .. وبقي برينا في مكانه يري ويسمع ويتظاهر بقلة الاكتراث

سمع مدير البوليس يقول لقاضي التحقيق :

✿ بودي أن نقع علي دليل مادي . دليل مادي واحد . من الواضح الجلي أن هذه المرأة مذنبة . فجميع الظروف تدينها ولكن . انظر مع ذلك اليها . إن تقاطيع وجهها الجميل تعبر أبلغ تعبير عن صدقها وسلامة طويتها وأكيد حزنها .

كانت مدام فوفيل تبكي بحرقة . ورآها برينا وهي تعض منديلها بأسنانها اللؤلؤية البديعة وتمزقه إربا كما تفعل الممثلات في بعض المواقف ، رأي اسنانها البيضاء المنفصلة احداها عن الاخري . وتذكر في الحال آثار الاسنان التي رآها علي جوانب التفاحة الفجة ، تساءل .. تري هل هذه الاسنان البيضاء البديعة هي بعينها التي تركت طابعها علي التفاحة ؟

استولي عليه فضول شديد الي معرفة الحقيقة

عاد مازيرو أدراجه وعلي وجهه علامات الاهتمام وقدم الي مدير البوليس التفاحة التي وجدها في العشب فتناولها مدير البوليس وفحصها بدقة . ولاحظ برينا أنه اهتم بها غاية الاهتمام وأصغي بعناية شديدة الي رأي مازيرو في التفاحة . ثم ذهب الي قاضي التحقيق ورجال النيابة وعرض عليهم هذا الاثر الخطير

ودار بينهم حديث طويل . انتهي بأن ترك مسيو ديماليون التفاحة بين يدي قاضي التحقيق . ثم سار الي حيث كانت مدام فوفيل تبكي وتنتحب

قال برينا لنفسه :

* انتهي الامر . وتقرر القاء القبض عليها

بيد أن مسيو ديماليون ما لبث أن تمهل في الطريق . كان يفكر في أفضل وسيلة ينهي بها الي مدام فوفيل ما انتهي اليه الرأي سألها :

* ألا زلت مصممة يا سيدتي علي ألا تذكري لنا كيف قضيت وقتك ليلة أمس ؟!

فأجابت متلعثمة :

❁ نعم . نعم . انني تنزهت بالسيارة . وسرت علي قدمي قليلا

❁ سيكون من السهل علينا التأكد من صدق كلامك متي عثرنا علي سائق السيارة واستجوبناه . والي ان يتسنّي لنا العثور علي هذا السائق . يجب ان نجد وسيلة لتبديد الاثر . السيّئ الذي تركه صمتك في نفوسنا .

❁ انني علي استعداد لعمل كل ما يطلب مني يا سيدي

❁ اصغي الي يا سيدتي . ان احد الاشخاص الذين ساهموا في جريمة أمس قد قضم باسنانه تفاحة فجة . ثم قذف بها الي الحديقة . وقد وجدنا الآن هذه التفاحة .

فلكي نقطع الشك باليقين في امرك . نرجو أن تقضمي احدي التفاحات . لمقارنة اثار اسنانك بالآثار التي وجدت علي التفاحة التي عثرنا بها في الحديقة .

فهتفت مدام فوفيل بحماسة شديدة :

❁ طبعا . طبعا . انني علي اتم استعداد . واذا كان في ذلك ما يكفي لاقناعكم فانني لا ..

وتناولت احدي التفاحات الثلاث من الصحفة التي قدمها اليها مسيو ديماليون . ووضعتها في فمها .

وفجأة . استولي عليها رعب غامض . خافت الوقوع في فخ . واشفقت ان تودي بها المصادفات البحتة .

من يدري .. ربما سار هذا العمل الذي ستقدم عليه سلاحا من امضي الاسلحة في سوقها الي حتفها والاجهاز عليها .

ترددت .. وغاب عنها ان هذا التردد من شأنه ان يضاعف الريبة في امرها .

سألها مدير البوليس :

❁ مم تخافين يا سيدتي .

فمرت بجسدها قشعريرة . اجابت :

❁ لا شيء .. لا شيء يا سيدي .. لا اعلم .. انا خائفة .. كل هذا مخيف .. ومزعج ..

❁ ثقي يا سيدتي من اننا لا نطالبك بشيء يسيء الي مركزك ان ما اطالبك به الآن قليل الأهمية .. ولكنه قد يؤدي الي نتيجة حسنة .

فرفعت التفاحة الي فمها للمرة الثانية . وللمرة الثانية ملكها ذلك الخوف المبهم . والقلق الغامض . سألت فجأة :

❁ واذا رفضت ؟!

فأجاب مدير البوليس :

❁ ان من حقك ان ترفضي اذا شئت يا سيدتي .. ولكن لماذا ترفضين ؟ انا واثق ان محاميك سيكون اول من ينصح لك بأن ...

فهتفت :

❁ محامي ؟!

وادركت المعني المخيف الذي تنطوي عليه هذه الكلمة .. ولكنها حزمت امرها .. وجمعت اطراف عزيمتها ... وفتحت فمها فرأي القوم اسنانها اللؤلؤية البيضاء البديعة ..

غرستها في التفاحة بغير تردد . ثم قدمت التفاحة الي مدير البوليس وهي تقول :

❁ ها هي آثار اسناني يا سيدي .

فتناول مسيو ديماليون التفاحة .. وذهب بها الي حيث كان قاضي التحقيق ورجال النيابة ... وهناك وضع التفاحتين لصق بعضهما وراح يقارن بين العلامات التي تركتها الأسنان في كل من التفاحتين .

نظرة واحدة سريعة كان فيها الكفاية

كان التشابه تاما .. ولم يكن ثمة شك في ان الاسنان التي غرست في التفاحة الثانية هي عينها التي تركت طابعها على التفاحة الأولى .

لم ينبس احد الرجال ببنت شفة ... اما مدام فوفيل فقد غاض الدم من وجنتيها . وراحت تنظر حولها نظرات الحيوان اذا احرجه القانص .

اقترب منها مدير البوليس وبدأ يقول بصوت حزين :

* سيدتي . ان .

ولكنها قاطعته . بأن راحت تصيح في غضب :

* كلا . كلا . هذا ليس صحيحا . كل هذا . كابوس .. اليس كذلك ؟! انك لن تلقي القبض علي

أنا اعتقل .. واسجن ؟! هذا مخيف . اقسم لكم انني بريئة . اقسم لكم انكم علي خطأ . ووضعت كفيها حول رأسها وهتفت :

* ان رأسي يكاد أن ينفجر . ما معني كل هذا ؟! انا لم اقتل احدا . انا لا اعلم شيئا . انكم انتم الذين اخطرتموني بما حدث ولم يكن لي قبل ذلك علم بشيء

انا اتهم بقتل زوجي المسكين . وقتل ادمون الصغير العزيز الذي كان يحبني كما يحب امه ؟!

انا اتهم بقتلهما ؟! ولماذا اقتلهما ؟ نعم . لماذا اقتلهما ؟. تكلموا . إفصحوا . اجيبوا علي هذا السؤال . لماذا اقتل زوجي وابنه ؟ ان الانسان لا يرتكب جريمة القتل بلا غرض أجيبوا . اجيبوا .

وانهكتها نوبة الغضب التي استولت عليها ولكنها كانت قد صممت علي ان تدافع عن نفسها الي النهاية . فلوحت بقبضتها في وجوه المحققين وصاحت :

- انتم جلادون . ليس من حقكم ان تنزلوا بامرأة مثل هذا العذاب يا للهول .. اتتهمونني . وتلقون القبض علي .. وانا لم افعل شيئا ! هذا مخيف .. هذا مخيف .. انكم جلادون ... ولا سيما انت ... انت ..

وتقدمت من برينا خطوة . ووجهت اليه كلامها :

- نعم .. انت عدونا . وانا افهم غرضك . انك كنت هنا ليلة امس . فلماذا لا يلقون القبض عليك ؟ لماذا يقبض عليّ من دونك ؟ انا التي لا ادري مما حدث شيئاً علي الاطلاق

واستنفدت هذه الثورة كل قوتها . فتهالكت علي احد المقاعد وسقط رأسها الجميل علي صدرها . وسالت شجونها دموعاً .

دنا منها برينا . ورفع رأسها بيده . ورأي وجهها يسبح في الدموع . قال لها :

❁ ان آثار الاسنان في التفاحتين متشابهه . فلا شك اذن انك التي قضمت التفاحة الاولي كما قضمت الثانية .

❁ كلا .كلا

فقال بلهجة التأكيد :

❁ نحن الان امام حقيقة مادية لا يمكن انكارها يا سيدتي ولكن يحتمل مع ذلك ان تكوني قد قضمت التفاحة الاولي في وقت سابق للوقت الذي وقعت فيه الجريمة .

فغمغمت : هل تعتقد ذلك ؟ نعم . هذا محتمل .. يخيل الي انني في صباح امس ...

ولكن مدير البوليس قاطعها بقوله

❁ عبثاً تحاولين الانكار او الدفاع عن نفسك يا سيدتي .. لقد استجوبت الخادم سلفستر .. فقرر انه ابتاع التفاح بنفسه في الساعة الثامنة من مساء امس .. وانه عندما

أوي مسيو فوفيل الي فراشه كانت توجد بالصحفة اربع تفاحات .. ولكن في الساعة الثالثة صباحاً لم تكن هناك سوى ثلاث تفاحات . ولذلك يرجح ان تكون التفاحة التي وجدت في الحديقة هي التفاحة الرابعة . وقد وجدت علي التفاحة الرابعة آثار اسنان . ثبت الآن انها آثار اسنانك .

فصاحت مدام فوفيل :

❁ كلا . انها ليست آثار اسناني . هذه الآثار ليست آثار اسناني .

❁ ومع ذلك ...

فقاطعته بقولها :

❁ هذه الآثار ليست آثار اسناني . اقسم انها ليست آثار اسناني . واقسم كذلك انني سأموت . نعم سأموت . لانني اوثر الموت علي السجن . سأقتل نفسي . سأقتل نفسي

قالت ذلك وقد ثبتت عيناها في محجريهما . وحاولت علي الاثر ان تنهض ولكنها ما لبثت ان دارت حول نفسها وسقطت علي الارض فاقدة الرشد .

وبينما كان القوم في شغل باسعاف مدام فوفيل اقترب مازيرو من الدون برينا وهمس في اذنه قائلاً له :

❁ انتهز الفرصة واهرب يا سيدي الرئيس

❁ آه .. هل تعتقد انني اصبحت حراً !؟

❁ انظر الي هذا الرجل الذي جاء منذ عشرة دقائق .

الرجل الذي يتحدث الي مدير البوليس فهل تعرفه ؟

فقال برينا صاخبا بعد أن أمعن النظر في وجه الرجل الذي أشار اليه مازيرو :

❁ ياللشيطان .. هذا هو المفتش ويبر .. أليس كذلك ؟

فأجاب مازيرو :

❁ هو بعينه ياسيدي الرئيس . وقد استطاع من النظرة الاولي أن يعرف لوبين . نعم . انه عرفك في الحال . وقد لاحظت ذلك .. ان جميع أنواع التنكر لاتفيد مع هذا الرجل .

فسأله برينا :

❁ تري هل تحدث الي مدير البوليس في ذلك ؟

❁ ها هو لايزال يتحدث اليه ياسيدي الرئيس . وقد لاحظت ان مسيو ديماليون حدجك مرتين بنظرات لها معناها .

❁ هل تظنه سيأمر رجاله بمطاردتي ؟

❁ أنا واثق من ذلك .

❁ وفي هذه الحالة .. ماذا استطيع أن أفعل ؟ لاشيء طبعا

❁ كيف لاتستطيع شيئا ؟ انتهز الفرصة واهرب .

❁ وماذا افيد من الفرار . مادمت ساقصد الي منزلي توا ؟

فهتف مازيرو :

❁ الي منزلك توا ! ان من الجنون بعد كل هذا ان تعود الي منزلك .

❁ اين تريد ان أقضي ليلتي اذن ؟ علي افريز الشارع ؟

❁ ألا تشعر بأن هذه الحوادث ستثير ضجة عظيمة وأن شخصيتك لابد ستلفت الانظار نظرا للشبهات التي دارت حولك أولا ثم للدور الهام الذي لعبته في اماطة اللثام عن الحقيقة ثانيا . كيف تجسر بعد هذا علي أن تعود الي بيتك مع أنك ستكون موضع رقابة صارمة .

❁ وماذا اصنع إذن ؟

❁ ماذا تصنع ؟ نفض يديك من هذه القضية بتاتا .

❁ وقتلة كوزمو مورننجتن وفوفيل ؟

❁ دع لرجال البوليس مهمة البحث عنهم . والانتقام منهم

❁ انك معتوه ياالكسندر .

❁ إذن فعد الي سابق العهد بك . عد الي شخصيتك الفذة . ودعني أري فيك لوبين الذي لايغلب .

نعم .. اخلع عنك ثوب الدون لويس برينا . فانه ثوب خطر . ولا تشغل نفسك بعد الآن بصفة رسمية ظاهرة في امر لا يهمك شخصيا !

فابتسم برينا وقال :

❁ انك ساذج ياما زيرو . كيف تريدني علي الا اهتم بمائتي مليون فرنك ! ان برينا اذا لم يثبت في مكانه . ويظل كالصخرة التي لا تغلب . افلت منه مبلغ مائتي مليون فرنك ..

❁ واذا القوا القبض عليك ؟

❁ انهم لا يستطيعون . لا يستطيعون القبض علي لانني ميت كما قلت لك .

❁ ان لوبين قد مات . ولكن برينا لا يزال حياً

❁ اذا لم يقبضوا علي اليوم فانني استطيع ان اعيش مطمئناً

❁ انك واهم . انا واثق انهم سيحيطون منزلك بالعيون والارصاد منذ الليلة

❁ اكون شاكراً لهم اذا فعلوا . لانني اشعر بالخوف ليلاً . سيما بعد ان صار لي اعداء يريدون الفتك بي . والخلاص مني . لكي يخلو لهم الجو . فلا اقاسمهم ثروة مورننجتن

وفي اليوم التالي قرر احد الخبراء ان آثار الاسنان علي التفاحتين . تشبه تماماً طابع الاسنان علي قطعة الشيكولاتة

وجيء بسائق السيارة التي زعمت مدام فوفيل انها خرجت بها للنزهة في الشانزليزيه . فقرر ان احدي السيدات دعته عند خروجها من دار الاوبرا وطلبت اليه ان يذهب بها تواً الي نهاية شارع هنري مارتان فذهب بها . وتركها هناك ومما هو جدير بالذكر ان نهاية شارع هنري مارتان لا تبعد عن منزل المهندس فوفيل اكثر من خمس دقائق سيراً علي الاقدام .

وعندما جيء بمدام فوفيل عرفها سائق السيارة دون تردد واذن ماذا فعلت مدام فوفيل في ذلك الحي بعد ان تركت السيارة ؟

وفي مساء ذلك اليوم . صدر الامر باعتقال مدام فوفيل فالقي عليها القبض وارسلت الي سجن " سان لازار "

وفي صباح اليوم التالي . بدأت الصحف في نشر تفصيلات الحوادث التي وقعت في اليومين الاخيرين وتشر بعضها هذه التفصيلات تحت عنوانات ضخمة تلفت النظر .. اقتبستها من

الاقــوال والاوصــاف التي ادلي بهــا الدون برينا في صــدد آثار الاسنان ..وهي اقـوال عبـر فـيـهـا الدون برينا افضل تعـبيـر عن فظاعة الجريمة .. وقسوة المجرم . .

ومنذ ذلك العــهــد بدأت الصــحف تكتب عن هذا الحــادث وتفــاصــيله تحت عنوان " اسنان النمـر " وبهـذا العنوان عـرفت القضية عند الجمهور . .

بعد اسبوعين من حادث مقتل المهندس فوفيل وولده . كان الدون لويس برينا يرتدي ثيابه .. في غرفته الخاصة بقصره الفخم الكائن بأول شارع (باليه بوربون) . وهو القصر الذي ابتاعه عقب الي باريس من ثري بلجيكي .. وابتاع معه جميع ملحقاته .. من اثاث .. ومركبات .. وسيارات .. وخيول .. واستبقي خدم الثري البلجيكي .. بل واستخدم كذلك سكرتيرة هذا الثري .. وهي فتاة في مقتبل العمر تدعي فلورنس ليفاسيه . فاتخذ منها سكرتيرة له . وأسند اليها مهمة مراقبة الخدم . وإدارة شؤون القصر .. وقراءة الصحف .. وفض الرسائل وكتابة الردود .

ارتدي الدون برينا ثيابه . وبعد أن قام بجولة في انحاء القصر كما هي عادته كل يوم .. قصد الي مكتبه فوجد الآنسة فلورنس في انتظاره ومعها صحف الصباح .

سار الدون برينا الي النافذة .. وحرك الستار في حرص وحذر ونظر الي الخارج .. ثم ضرب الارض بقدمه . وغمغم :

❁ لا يزال رجال الشرطة البلهاء يرقبونني ليل نهار .. لقد بدأت أسأم هذه الرقابة المستمرة .

وجلس الي مكتبه .. وقرأ الرسائل التي وردت اليه بالبريد ..

ثم سأل الآنسة فلورنس عن أهم ماجاء في الصحف .. فقدمت اليه الفتاة نسخة من جريدة (الايكو دي باري) وأشارت الي مقال في هذه الجريدة وقالت :

❁ هذا المقال عن حادث " اسنان النمر " ...

❁ هل ذكر به اسمي ؟

❁ أظن ذلك ...

وكان الدون برينا قد ألف من الفتاة أمثال

هذه الاجوبة المبهمة الفاترة .

وقرأت عليه فلورنس مقدمة المقال فاذا به يتحدث عن مدام فورفيل وحياتها في السجن . واصرارها علي الانكار .. وبكائها ليل نهار .

فقال الدون برينا :

❁ في الحق ان موقف هذه المخلوقة يحيرني .

فقالت فلورنس :

❁ من يدري .. فربما كانت هذه المرأة التعسة بريئة .

وكانت هذه هي أول مرة عبرت فيها فلورنس ليفاسيه عن

رأيها في الحادث فنظر اليها الدون برينا في دهشة وسألها :

❁ هل تعتقدين في براءتها يا آنسة ؟

فهمت بإيضاح وجهة نظرها .. ولكنها عادت فأمسكت .. وقنعت بأن قالت :

❁ لا أعلم .. لا رأي لي في الموضوع ..

❁ ربما . ولكن يلوح لي انك ترتابين في أدلة الاتهام وقد كنت مثلك ارتاب في هذه الادلة الي أن اكتشفنا آثار الأسنان فقد كانت هذه الآثار صريحة في دلالتها .. بليغة في معناها ، انها كانت بمثابة اعتراف صريح بالتهمة وفي اعتقادي ان خلاصها من هذه الورطة ضرب من المستحيلات مالم تقدم الي المحقق الادلة والايضاحات المقنعة .

بيد انها لاتزال للأسف تصر علي الصمت .. ولم يوفق رجال البوليس بعد الي معرفة شريكها أو شركائها .. بل ولم يوفقوا الي القبض علي الرجل صاحب العصا ذات المقبض الفضي .. وأعني به الرجل الذي تعقب المفتش فيرو واستبدل رسالته .

صفوة القول انني لا اري شعاع ضوء جديد .. وسط الظلام الدامس الذي تعيش فيه مدام فوفيل .

كذلك قد ذهبت سدي جميع الجهود التي بذلت للعثور علي فكتور ابن عم هرملين واليزابيث وارماندا روسل وهو الذي يؤول اليه الميراث حتما اذا لم نجد وريثا آخر من سلالة الاخوات الثلاث

فلم تجب فلورنس . فسألها الدون برينا :

• وماذا كتبت الجريدة أيضا ؟

• انها كتبت تحت عنوان " لماذا لا يقبض عليه ؟ .. تسأل لماذا لا يقبض علي الدون برينا في الوقت الذي تنهض فيه أدلة كثيرة علي ان الدون برينا هو بعينه ارسين لوبين الذي انقطعت أخباره منذ بضعة أعوام .

فقطب الدون برينا حاجبيه . وتناول نسخة الجريدة . وقرأ المقال باهتمام عظيم .

كان مقالاً شديد اللهجة .. يتضمن حضا صريحا لرجال البوليس علي القبض علي ذلك اللص المحتال المخادع ارسين لوبين .. الذي وجد الجرأة أخيراً علي أن يظهر تحت سمع البوليس وبصره باسم مستعار ولقب من القاب النبلاء .

قرأ الدون برينا هذا المقال . وأعاد قراءته .. ثم وضع الجريدة جانبا وقال :

• سوف يكون لي مع صاحب هذا المقال شأن .. هل من نبأ آخر هام ؟

❁ كلا ؟

❁ حسنا ... تستطيعين الآن أن تنصرفي ..

وانصرفت فلورنس . وأخذ برينا يسير في غرفته جيئة وذهبا ولم يكن لديه شك في أن كاتب المقال هو شخص يهمه أن يزول أرسين لوبين من طريقه .. فترى من هو هذا الشخص ؟ وهل له صلة بميراث مورننجتن .. أو بجرائم القتل التي تكتب عنها الصحف بعنوان " أسنان النمر " ؟

هبط السلم مسرعا وفي نيته أن يعرف كاتب المقال : مهما كلفه ذلك .. وقد اعتزم أن يبدأ تحرياته واستعلاماته في جريدة (الايكو دي باري) .

وإنه يجتاز حديقة القصر .. اذا به يري كلبين صغيرين يتنازعان حزمة صغيرة مشدودة بخيط رفيع ..كان كل من الكلبين يحاول اجتذاب الخيط . وقد أثارت الحزمة فضول برينا فانحني والتقطها .. وجد أنها عبارة عن لفائف من الورق قد ربطت بخيط من الحرير فقطع الخيط .. ونشر الاوراق بين اصابعه كانت الاوراق مكتوبة بخط دقيق فقرأ برينا بضعة سطور . وجمد في مكانه .

كانت الاوراق تتضمن ذات المقال الذي قرأه في جريدة (الايكو دي باري) وقد كتب بخط دقيق .. وأدخل عليه كاتبه

بعض التعديلات كأنما فعل ذلك قبل أن ينسخه ويبعث به الي الجريدة للنشر .

وعرف برينا ذات الورق الذي يستخدمه وذات المداد الذي يكتب به .. ولكنه لم يعرف الخط أو صاحبه .

عاد أدراجه الي مكتبه .. ودعا اليه فلورنس ليفاسيه وعرض عليها المقال . وسألها اذا كانت تعرف الخط الذي كتب به .. فاجابت سلبا .. ودعا برينا سائر الخدم .. وأجري معهم تحقيقا دقيقا .. ولكنه لم يوفق الي معرفه ذلك العدو الغامض الذي يقيم في بيته .

وانه لا يزال في البحث عن صاحب المقال بين جدران البيت .. اذا باحد الخدم ينبئه بقدوم زائر قال انه يدعي (الكسندر)

وأدرك برينا ان القادم هو زميله مازيرو .. فأمر بادخاله في الحال وخف لاستقباله .. قال له :

❁ كنت واثقا من انك ستزورني يا عزيزي الكسندر .. فهل من جديد ..

فأجال مازيرو الطرف حوله .. حتي إذا وثق من أنه لايوجد رقباء قال :

❁ عن أي جديد تتكلم أيها الرئيس ؟

❁ عن أي جديد ؟ عن الجديد في أسنان النمر مثلا .. أو عن الرجل صاحب العصا ذات المقبض الفضي .. أو ..

❁ تعني الرجل الذي شوهد في مقهي (الجسر الجديد) يوم مصرع المفتش فيرو.. نعم .. قد وقعت علي أثره .

❁ أحقا تقول ؟

❁ أصغ الي ياسيدي الرئيس .. لعلك تذكر أن أحد خدم المقهي هو الذي أرشدنا الي هذا الرجل الذي يجب أن نعتقد - الي أن يثبت غير ذلك - انه شريك مدام فوفيل وله أصبع في جميع الجرائم التي ارتكبت .

بيد انني اكتشفت أمس أن هناك زبوناً آخر من زبائن المقهي رأي ذلك الرجل صاحب العصا . وانصرف من المقهي في ذات اللحظة التي انصرفت فيها ضالتنا . وقد قابلت هذا الرجل . وسألته ان كان يعلم شيئا عن صاحب العصا . فأجاب سلباً .. ولكنه ذكر لي انه خرج معه من المقهي .وأنه سمعه يسأل أحد المارة عن " أقرب محطة في خط الترام الموصل الي ضاحية (نيولي) " .

❁ هذا بديع .. وقد استطعت طبعا بعد السؤال والاستعلام أن تعرف مقر الرجل في (نيولي) ؟

❁ بل وعرفت كذلك اسمه .. انه يدعي هوبير لوتيه . ويقيم في شارع (رول) ولكنه للأسف قد هجر منزله في ذلك الشارع منذ ستة شهور .. وترك كل أثاثه في المنزل . ولم يصطحب معه غير حقيبة واحدة.

بيد أن التحريات التي قمت بها دلتني علي أن الرجل يتردد علي ضاحية (نيولي) مرة كل اسبوع . ليتسلم رسائله من مكتب البريد..

❁ وهل كانت الرسائل ترد اليه باسمه كاملا وبعنوانه ؟

❁ كلا .. بل كانت ترد اليه علي شباك البريد معنونة بحروف مبهمة اصطلح عليها مع عمال البريد .

❁ وهل تذكر عامل البريد هذه الحروف .

❁ نعم .. انها (هـ . ل .ش.. ر . و . ٨)

❁ وماذا عندك من الانباء الاخري ..

❁ عندي شهادة اثنين من رجال البوليس كانا يقومان بالحراسة في شارع هنري مارتان في ليلة ارتكاب الجريمة .. وهو الشارع الذي ثبت أن مدام فوفيل قصدت اليه عقب انصرافها من دار الاوبرا .

❁ ماذا قرر رجلا البوليس ؟

❁ قررا انهما شهدا في ليلة ارتكاب الجريمة رجلا متوسط القامة يمسك بيده عصا ذات مقبض من الفضة وتنطبق عليه جميع أوصاف الرجل الذي نبحث عنه .. شهداه في شارع هنري مارتان حوالى الساعة الثانية عشر إلا بضع دقائق .. ففهمت من ذلك ..

❁ فهمت من ذلك انه تقابل مع مدام فوفيل .. ولكن ما الذي منعك من القاء القبض علي هذا الرجل حتي الآن ؟

❁ منعني أنني لم أتمكن من حل الرموز (هـ . ل . ش . ر و . ٨)

❁ ولكني لا أري في هذه الرموز تعقيداً .. ان معناها ظاهر وواضح . هيوبير لوتييه شارع ريشار ولاس رقم ٨ .

فدق مازيرو علي كتف الدون برينا في جذل وهتف :

❁ يالك من رجل عجيب .

وبعد ساعة كان الرجلان يحومان بشارع ريشار ولاس .. ويرقبان المنزل رقم ٨ بعناية واهتمام .

وشاءت الظروف ألا يطول انتظارهما .. إذ مالبث باب المنزل أن فتح وخرج منه رجل ما كاد يقع عليه بصر مازيرو حتي هتف :

❁ انظر أيها الرئيس .. هاهو .. هاهو بعينه .. تأمل قامته وثوبه .. والعصا ذات المقبض الفضي .

❁ صه .. دعنا نتعقبه .

واجتاز الرجل شارع ريشار ولاس وانحدر في شارع (مايو)

كان يسير مسرعا . مرتفع الرأس غير آبه بما حوله .

وما زال يجد في السير حتي وصل الي محطة سكة حديد الضواحي فاستقل قطارا ذهب به الي (اوتي)

قال مازيرو لصاحبه .

❁ هذا عجيب .. لقد قرر رجلا البوليس انهما شهداه في هذا المكان منذ خمسة عشر يوما . أي في ليلة وقوع جريمة شارع سوشيه .

وقد ترك الرجل القطار . وسار في محاذاة الحصن .. حتي بلغ الي شارع سوشيه . وانتهي إلي مقربة من بيت المهندس فوفيل ..

اخذ يروح ويجيء امام هذا البيت . وهو ينظر بين الفينة والفينة الي نوافذه .. وأخيراً نظر في ساعته .. وأخذ يسير الهوينا نحو غابة بولونيا .

قال الدون لويس وهو يسرع الخطي :

❁ هلم الي العمل .

❁ ماذا تريد أن نصنع أيها الرئيس ؟

❁ أريد أن أثب الي عنقه .. والفرصة سانحة لذلك .

❁ كيف ؟ هذا مستحيل ..

❁ مستحيل ؟ ماذا تعني ؟ اذا كنت خائفا فدعني أعمل منفردا .

❁ يجب أن تفكر في الامر ياسيدي . اننا لا نستطيع القبض علي هذا الرجل بلا مبرر .

❁ بلا مبرر ؟ انه قاتل أثيم .. فأي مبرر تريد أكثر من هذا ؟

❁ القانون لا يخولنا حق القبض عليه دون تفويض اللهم إلا اذا ضبطناه في حالة تلبس ..

❁ هذا صحيح .. فما العمل اذن ؟

❁ اننا نعرف بيته .. وليس أيسر من أن نراقبه ريثما نحصل علي أمر بالقبض عليه .

وفي صباح اليوم التالي دق جرس التليفون في بيت الدون برينا كان المتكلم هو المفتش مازيرو ..

۞ آلو .. الكسندر .. مـاذا عندك من الانبـاء ؟ ألا زلت تجد في أثر صاحبنا ؟

۞ إنني أتحدث الـيك من مقهي بـالقرب من منزل شـارع ريشار ولاس ..

۞ وصاحبنا !

۞ ان العصفور في العش .. ولـكنه يحرك جناحيه .

۞ ماذا تعني ؟

۞ انه أعد حقيبته .. وسينطلق اليوم في رحلة ..

۞ وكيف علمت ذلك ؟

۞ من المرأة التي تشتغل بتدبير منزله . وقد دخلت المنزل الآن وهي علي استعداد لأن تفتح لنا الباب متي أردنا الدخول

۞ هل يقيم الرجل وحده ؟

۞ نعم .. ولا تقيم معه غير تلك المرأة التي تدبر شؤون البيت أثناء النهار .. وتقضي الليل في الخارج . ولا يزور الرجل أحد سوي سيدة مقنعة زارته حتي الآن ثلاث مرات .. ولم تستطع المرأة أن تعرف شيئا عن هذه السيدة .

۞ وماذا يـفعل هذا الرجل ؟

❁ قالت لي المرأة انه من الاساتذة العلماء وانه يقضي كل وقته في القراءة والكتابة .

❁ وهل حصلت علي أمر باعتقال الرجل ؟

❁ نعم .. وسنقبض عليه الآن ..

❁ سألحق بك في الحال .

❁ لا فائدة من ذلك .. فمسيو (ويبر) مفتش البوليس هو الذي يتزعمنا وانت تعرف شعوره الودي نحوك

وضحك مازيرو في تهكم ثم استطرد علي الاثر بلهجة رزينة :

❁ هل اتصلت بك آخر الانباء عن مدام فوفيل ؟

❁ مدام فوفيل ؟

❁ نعم .. انها حاولت أن تنتحر ليلة أمس .

❁ حاولت أن تنتحر ؟

وأفلتت من فم برينا صيحة ذهول .. وأدهشه في الحال أن يسمع في ذات الوقت وبالقرب منه صيحة أخري كأنها صدي لصيحته .

نظر وراءه . فأبصر بالآنسة فلورنس ليفاسيه واقفة بالقرب منه وقد انقلبت سحنتها وغاض الدم من وجنتيها .

تلاقت عيونهما ، فهمّ بأن يلقي عليها سؤالا . ولكنها أسرعت بالابتعاد .

فكر برينا : لماذا تنصت هذه الفتاة الي حديثي .

ثم أصغي الي كلام مازيرو .. كان يقول :

❁ ألا تذكر أنها هددت بقتل نفسها يوم ألقي القبض عليها ؟ سأحدثك بالأمر بالتفصيل فيما بعد .. ان القوم يدعونني فالي اللقاء ايها الرئيس .. ولكن حذار من أن تحضر .

❁ بل سأحضر في التو واللحظة .. ليس أقل من أن أشهد اقتناص العصفور ما دمت انا الذي اهتديت الي وكره .. ولكن لاتخش شيئا يا الكسندر .. سأشهد كل شيء من وراء الكواليس .

❁ اذن فاسرع .. فقد أعطيت إشارة الهجوم .

فوضع الدون برينا السماعة .. ووثب نحو الباب .

ولكن حدث في اللحظة التي هم فيها باجتياز عتبة الباب . أن سقط شيء من سقف الباب بضجة عظيمة . ولولا انه اسرع فالقي برأسه الي الوراء لتهشمت جمجمته تحت ثقل اللوحة الفولاذية الضخمة التي سدت منفذ الباب .

استولي علي الدون برينا نوع من الرعب ولكنه سرعان ما ملك نفسه فهجم علي اللوحة الفولاذية وراح يضربها بيديه في حنق وغضب ولكن بغير جدوي .

وجد نفسه شبه سجين في بيته وتذكر ان فلورنس ليفاسيه كانت معه في الغرفة منذ لحظة . وان من المستحيل أن تكون قد ابتعدت كثيراً خلال هذه الفترة اليسيرة . فكيف إذن لم تسمع تلك الضجة الهائلة !

لابد انها سمعتها .. ولا بد انها ستخف الي نجدته .

أرهف أذنيه .. فلم يسمع حركة .. وصاح فلم يسمع جواباً .

غمغم قائلا : ما معني هذا ؟

وتذكر موقف فلورنس منذ لحظة . وانقلاب سحنتها . وشرود نظراتها .. وانصرف ذهنه في الحال الي الشبكة الفولاذية التي كادت تودي بحياته .. والي استحالة أن تكون قد سقطت من تلقاء نفسها .

ر

رابطت أمام المنزل رقم ٨ بشارع ريشار ولاس قوة من رجال البوليس تتألف من المفتش ويبر والمفتش مازيرو وضابط بوليس (نويلي) وعدد من رجال الشرطة .

وقد كان مازيرو في شغل طول الوقت بمراقبة شارع مدريد .. في انتظار قدوم الدون برينا . وقد أدهشه أن يبطئ برينا كل هذا الإبطاء . فقد انقضت ساعة تقريبا بعد الحديث التليفوني الذي دار بينهما .

وقال ويبر :

❁ لقد حان وقت العمل . فان المرأة أومأت الينا من النافذة والرجل يرتدي الآن ثيابه .

فقال مازيرو لكسب الوقت :

❁ ولماذا لا نرابط له هنا حتي إذا خرج أطبقنا عليه . واعتقلناه

❁ وماذا نفعل إذا هو لاذ بالفرار من منفذ آخر .. كلا .. من رأيي أن نهاجمه في معقله .

❁ ولكن ..

فانتحي به المفتش ويبر ناحية وقال له في همس :

❁ ماذا دهاك يا مازيرو . ألا ترى أن رجالنا في حالة انفعال؟
. ان هذا الشيطان يزعجهم ويقلقهم وهم ينتظرون بفارغ الصبر أن أصدر اليهم الأمر بالهجوم لينقضوا عليه كما لو كان حيوانا مفترسا . أضف الي ذلك ان الحادث يجب أن يظل طي الكتمان حتي يحضر مدير البوليس .

❁ هل سيحضر ؟

❁ نعم . انه يريد ان يكون له فخر اعتقال هذا المجرم الخطير الذي تشغل جرائمه الرأي العام . والآن .. هلم بنا

ثم تحول الي رجاله وقال : هل أنتم علي استعداد أيها البواسل ؟ سأقرع جرس الباب

ودق جرس الباب فاسرعت المرأة وفتحت الباب .

وعلي الرغم من أن كل شيء كان يجري في هدوء تام حتي لا يشعر ذلك المجرم بالخطر . فان رجال البوليس ما كادوا يدخلون .. حتي فتحت احدي النوافذ التي تطل علي فناء الدار وقال قائل :

❁ ماذا حدث ؟

فلم يجب المفتش ويبر بل صعد السلم مسرعا بعد أن أمر بعض رجاله بأن يرابطوا في الفناء .

والتقي رجال البوليس بغريمهم علي درج السلم أمام الضابط الاول وكان الرجل يهم بهبوط السلم . فسمع صوتا يصيح به :

❁ قف حيث أنت .. لاتأت بحركة أو ألهب رأسك .. هل أنت هيوبير لوتييه ؟

ورأي الرجل خمسة مسدسات مصوبة اليه . فتوقف عن السير ولكن لم يظهر علي وجهه شيء من الخوف والجزع .

سأل ببساطة :

❁ ماذا تريدون أيها السادة !؟ ما غرضكم من دخول هذا المنزل ؟!

فقال له ويبر :

❁ إننا دخلنا باسم القانون لكي نلقي القبض عليك ..

❁ لكي تلقوا القبض علي ؟

❁ نعم .. لدينا تفويض باعتقال هيوبير لوتييه المقيم بالمنزل رقم ٨ بشارع ريشار ولاس .

❁ ولكن هذا عجيب .. هذا لا يمكن تصديقه .. لاي سبب تلقون القبض علي .

ولم يبد الرجل أية مقاومة حين احاط به اثنان من رجال

البوليس وامسكا بساعديه .ودخلا به احدي غرف الطابق الاول .

اشار ويبر الي مقعد في الغرفة وقال :

❁ اجلس هنا ريثما يحضر مدير البوليس وحذار أن تأتي بحركة .

فلم يحتج الرجل .. ولكن ظهرت عليه علامات الاهتمام والتفكير كأنه لا يعلم حقا لماذا يقبضون عليه .

قال ويبر لرجاله : هل فتشتم جيوبه ؟ ألا توجد معه اسلحة ؟

❁ كلا .. اليست في جيبه زجاجات أو قناني سم ؟

❁ كلا .. كلا ..

وجاء مسيو ديماليون ودار الحديث بصوت خافت بينه وبين المفتش ويبر حول الكيفية التي اعتقل بها المجرم .

قال مدير البوليس :

❁ أحسنت صنعا ياويبر .. الآن قد وضعنا أيدينا علي الشريكين .. وستكون النتيجة أن أحدهما علي الاقل سيعترف .. ألم يبد أية مقاومة ؟

❁ كلا ياسيدي

* هذا لا يمنع من مراقبته بدقة .. والأخذ باسباب الحذر والحيطة

وكان الرجل قد لزم الصمت التام طيلة هذا الوقت ... ولكنه ما كاد يعلم بأن القادم هو مدير البوليس حتي رفع رأسه . وراح يمعن النظر في وجهه .

قال له مسيو ديماليون : من العبث طبعا ان نوضح لك اسباب اعتقالك فانت تعرف الاسباب حق المعرفة ..

* عفوا يا سيدي .. انني علي العكس .. لا أعلم شيئا . وأؤكد لك انني خالي الذهن تماما فهل لك أن توضح لي أسباب اعتقالي ؟! أنا واثق أن رجالك تورطوا في خطأ . وواثق أنك ستصلح هذا الخطأ في الحال ..

فهز مدير البوليس كتفيه وقال له :

* إنك متهم بالاشتراك في قتل المهندس فوفيل وولده

فصاح الرجل بصوت مختلج :

* هل مات هيبوليت ؟ ماذا تقول ؟ أيمكن أن يكون قد مات؟ وكيف !! قتل ؟! وادمون كذلك ؟

فهز مدير البوليس كتفيه مرة أخري وقال :

❁ ان مجرد دعوتك مسيو فوفيل باسمه الشخصي (هيبوليت) هو دليل قاطع علي أنك كنت شديد الاتصال به . فاذا افترضنا أنه لم يكن لك أي ضلع في حادث قتله فان مجرد قراءة احدي الصحف خلال أي يوم من أيام الاسبوعين الماضيين . كان فيه الكفاية لأن تعلم كل شيء

❁ انني لا أقرأ الصحف قط يا سيدي

❁ كفي تصنعاً

❁ قد لا تصدق ذلك .. ولكنه الحقيقة فأنا أعيش عيشة عمل وكد وقد أوقفت كل وقتي علي الأبحاث والتجارب العلمية . فانا لا ألقي بالي الي شيء خارج محيط عملي وأتحدي أي انسان أن يثبت أنني قرأت جريدة واحدة منذ عشرات الشهور . ولهذا تجدني علي حق اذ اقول انني اجهل حادث مقتل هيبوليت فوفيل . انني كنت وهذا الرجل أصدقاء في وقت ما .. ولكننا تخاصمنا

❁ وما هي أسباب الخصام ؟

❁ أسباب الخصام عائلية بحتة .

❁ أسباب عائلية ؟! هل أنتما اقرباء ؟

❁ نعم . كان ابي ابن عم والدته

فهتف مدير البوليس :

❁ ابن عم والدته ؟ إذن ... صبراً ... لنتفاهم في هذه النقطة كان فوفيل وزوجته ينحدران من شقيقتين هما اليزابيث وارماندا روسل .. وقد نشأت هاتان الشقيقتان مع ابن عم لهما يدعي فكتور

❁ نعم . فكتور سوفيران .. وقد تزوج فكتور سوفيران في الخارج . ورزق ولدين أحدهما توفي منذ خمسة عشر عاما أما الثاني فهو أنا .

وهنا مرت بجسد مسيو ديماليون قشعريرة ، كان تأثره واضحا

إذا كان هذا الرجل قد قال الصدق وكان حقا ابن فيكتور سوفيران الذي يفتش عنه البوليس لاثبات شخصيته فيما يتعلق بميراث كوزمو مورننجتن .. فانه - أي مدير البوليس - ورجاله يكونون قد ألقوا القبض علي الوريث الوحيد لمبلغ المائتي مليون فرنك . طالما أن فوفيل وولده قد قتلا .. وطالما أن مدام فوفيل قد أدينت وثبت جرمها .. وفقدت بذلك كل حقوقها .

ولكن .. ولكن كيف بلغ الحمق بالرجل هذا المبلغ .. فيعترف بصحة نسبه ويضع بين أيدي المحققين هذا السلاح الماضي فيستخدمونه للقضاء عليه ؟

قال الرجل :

* يخيل الي يا سيدي أن ما ذكرته لك الآن قد أدهشك .. آمل أن تفيد هذه المعلومات التي أدليت بها في تلافي الخطأ الذي تورطتم فيه الآن

قال ذلك في أدب .. وبلهجة الرجل الواثق من نفسه . ولم يبد عليه انه شعر بأن تصريحاته الاخيرة تحرج مركزه اكثر مما تفيده لأنها تبرر الاجراءات التي اتخذت ضده .

تجنب مدير البوليس الاجابة علي سؤاله .. ووجه اليه السؤال الآتي :

* وإذن فاسمك الحقيقي ..

* هو جاستون سوفيران

* لماذا اذن اتخذت اسم هيوبير لوتييه

فظهرت علي الرجل علامات الحيرة .. والتخاذل .. ولكنه سرعان ما ملك نفسه وقال :

* ليس هذا من شأن البوليس .. هذا شأني وحدي

فابتسم مسيو ديماليون وقال :

* هذا دفع ضعيف .. ولكن هل تتجنب كذلك ذكر الحقيقة إذا سألتك لماذا هجرت منزلك بشارع (رول) دون ان

تترك عنوانك الجديد ولماذا تتسلم رسائلك من مكتب البريد معنونة بحروف غامضة ؟

● أنني أرفض الاجابة كذلك يا سيدي .. هذه أمر ليس لكم ان تخوضوا فيها

● هذا هو الجواب الذي كانت شريكتك ترد به علي كل سؤال يلقي عليها

● شريكتي ؟!

● نعم .. مدام فوفيل

فافلتت من فم الرجل صيحة دهشة لا تفترق عن الصيحة التي أرسلها حين علم بنبأ مصرع المهندس فوفيل .. وظهرت علي وجهه علامات الذهول والذعر .. صاح :

● ماذا .. ماذا قلت ؟؟ ماري مرغريت .. زوجة فوفيل شريكتي .. قبض عليها واهينت مثلي ؟ كلا هذا ليس صحيحا .لاشك أنك لا تقصد إلي غير الدعابة يا سيدي

ووجد مسيو ديماليون أن الرجل يمضي في الانكار الي حد الاستخفاف بعقول سامعيه فكف عن اجابته والرد علي اسئلته .

أما جاستون سوفيران فقد كانت عيناه تجولان في محجريهما كمن به مس . راح يقول :

* هل هذا صحيح .. هل صحيح أنكم وجهتم الي ماري مرغريت مثل هذه التهمة البشعة المهينة ؟! من يدري .. لعلكم كذلك قد مضيتم في الخطأ الي حد القائها في السجن .

واستولي عليه الغضب فجأة .. فراح يهز قبضته في الفضاء ويهدد بالانتقام جميع أولئك الذين ساهموا في هذا الخطأ الاثيم . ولما هدأت ثائرته راح يتمتم :

* ما هذه الاسرار ؟ .. انا لا افهم شيئا مما يدور حولي

فقال مدير البوليس محدثا مازيرو :

* كذلك كانت تقول مدام فوفيل عندما القينا القبض عليها كلاهما يقوم بدوره ببراعة .

فاجاب مازيرو :

* يجب أن نحذره ياسيدي .. اعتقد انه في ذهول من جراء هذه المفاجأة التي لم يكن يتوقعها .. ولكنه متي افاق من ذهوله . .ولم يتم مازيرو جملته .. لان المفتش ويبر اقبل عليهما وهو يقول :

* لقد اعددت كل شيء لنقله .. والسيارة الآن في الانتظار .

فسأله مدير البوليس :

❁ كم عددكم ؟

فاجاب ويبر : ثمانية

❁ هل فتشتم المنزل ؟!

❁ نعم . . وهو يكاد يكون خاليا الا من الاثاث الضروري .. وبعض الكتب والاوراق

❁ حسنا .. اذهبوا به وضاعفوا الرقابة حوله .. وحذار أن يخدعكم ويفلت منكم

سار جاستون سوفيران طائعا خاضعا ولما وصل الي الباب . تحول الي مدير البوليس وقال له :

❁ يا سيدي .. أرجو إذا فتشتم هذا المنزل أن تعتنوا عناية خاصة بالاوراق التي تجدونها مكدسة علي الطاولة في غرفتي .. ان بينها مذكرات كلفتني سهر ليال عدة .. وهناك كذلك .. وظهرت عليه علامات الحيرة والتردد

قال مدير البوليس :

❁ وهناك كذلك ؟

❁ سأقول لك .. سأقول لك شيئا يهمني يا سيدي ..

وصمت .. وبدا عليه كأنه يخشي تبعات الكلام الذي سيفضي به . ولكنه حزم أمره أخيرا وقال :

❁ هناك ياسيدي .. في مكان ما في غرفتي .. حزمة من الرسائل أحرص عليها حرصي علي حياتي .

هذه الرسائل اذا أولت محتوياتها علي غير المعني الذي أراده كاتبها . أمكن أن تتخذ سلاحا ضدي .. بيد أن ذلك لا يهمني كثيرا .. إنما يهمني قبل كل شيء أن تكون هذه الرسائل بعض الرسائل في مأمن من العبث .. ان بين هذه الرسائل بعض وثائق علي جانب كبير من الاهمية والخطورة .. ولذلك اعهد بها اليك يا سيدي .. بصفتك مدير البوليس .

❁ واين هذه الرسائل والوثائق ؟

❁ انها في مخبأ يسهل العثور عليه . لانك اذا صعدت الي الغرفة الكائنة في الطابق الثاني فوق غرفة عملي . وبحثت عن يمين النافذة المطلة علي الشارع . وجدت زرا صغيرا . فاذا جذبت هذا الزر . وجدت كوة بالجدار بها حزمة من الرسائل والوثائق .

قال ذلك ..ثم استأنف السير بين رجال الشرطة المحيطين به احاطة السوار بالمعصم .

بيد انه لم يكد يتقدم بضع خطوات حتي استوقفه مدير البوليس بقوله :

❁ صبرا لحظة .

ثم التفت الي مازيرو وقال :

❁ ارجو أن تصعد الي الغرفة الكائنة في الطابق الثاني فوق غرفته وأن تأتيني بالرسائل من الكوة التي ذكرها .

فأطاع مازيرو . وصعد الي الطابق الثاني .. ولكنه عاد بعد بضع دقائق صفر اليدين .. لانه لم يتمكن من العثور علي الزر الذي تكلم عنه جاستون سوفيران .

التفت مسيو ديماليون الي ضابط بوليس (نويلي) وطلب اليه أن يصعد برفقة سوفيران ومازيرو الي الطابق الثاني ليبحث المتهم عن الرسائل التي ذكرها .

وصعد الرجال الثلاثة .. وبقي مدير البوليس والمفتش ويبر في انتظار النتيجة وشرع اولهما يقتل الوقت بفحص الكتب المكدسة فوق احدي الطاولات بالغرفة .

كانت كلها من الكتب العلمية الثمينة التي تتناول في الغالب علم الكيمياء والكهرباء .. وكانت هوامش بعض هذه الكتب حافلة بالملاحظات التي سجلها جاستون سوفيران بخط يده .

وإنه يتصفح أحد الكتب .. إذا به يسمع دوي طلقات نارية . اندفع الي خارج الغرفة .. ولكنه لم يكد يصل الي السلم حتي دوي طلق ناري آخر .. أعقبته صيحة ألم . ثم دوي طلقان ناريان وشبه الي مدير البوليس أنه يسمع أصوات تصادم ونضال .

أخذ يصعد السلم وثبا .. بسرعة وخفة لا ينتظران من رجل في مثل قامته وسنه . وتبعه المفتش ويبر عن كثب

بلغا الطابق الثاني واستأنفا الصعود الي الطابق الثالث .. وقبل أن يصلا الي هذا الطابق . صادفا المفتش مازيرو يترنح علي السلم ولما أوشك علي السقوط تلقفه مدير البوليس بين ساعديه.

وأراد المفتش ويبر استئناف الصعود .. فارتطم قدمه بجسد ممدد علي السلم الضيق .. كان جسد ضابط بوليس نويلي ..

وأرسل مدير البوليس بصره الي أعلي السلم . ورأي جاستون سوفيران مطلا من الباب . وقد انقلبت سحنته . وراحت عيناه تحدقان شررا ..

كان المسدس لايزال بيده . فأطلق الرصاصة الخامسة كيفما اتفق .. دون أن يصوبها الي هدف بعينه . ولكنه أبصر للحظة بمدير البوليس .. فصوب المسدس اليه في هدوء ورزانة ..

ورأي مدير البوليس المسدس مسدداً اليه .. فاعتقد أنه هالك لامحاله وفي هذه اللحظة بالذات .انطلقت من ورا ء مدير البوليس رصاصة أصابت هدفها .. وقذفت بمسدس سوفيران بعيداً قبل أن يتمكن من اطلاقه .

ورأي مسيو ديماليون كما يري في حلم - ذلك الرجل الذي انقذه من موت محقق يثب من ورائه .. ويدفع مازيرو جانبا ويقفز فوق جسم ضابط بوليس (نويلي) ويهاجم جاستون سوفيران .

رأي مدير البوليس منقذه .. وعرفه ..

كان هو الدون لويس برينا .وتقابل الرجلان . سوفيران وبرينا . وتلاحما ولكن الشقي استطاع أن يدفع غريمه ويتخلص منه ، ويلوذ بالفرار الي اقرب النوافذ .تبعه برينا عن كثب ، بيد أن الرجل اسرع ووثب من النافذة فصاح مدير البوليس .

* يالله .. لقد ألقي بنفسه في الفضاء .. إننا لن نأخذه حيا

فهتف برينا :

* بل لن ناخذه حيا أو ميتا ياسيدي .. هؤلاء الأشقياء ينجون دائما بما يشبه المعجزة .. هاهو يلوذ بالفرار ..انه لم يصب من سقطته باذي ..كل ما اصابه (عرج) بسيط

فصاح مدير البوليس :

❁ ولكن اين رجالي ؟

فأجاب برينا :

❁ انهم جميعا داخل المنزل .. وقد اجتذبهم اليه دوي الرصاص

فغمغم مدير البوليس :

❁ ويل للشقي لقد عرف كيف يخدعنا وكيف يفوز .

والواقع أن جاستون سوفيران استطاع أن يفر دون أن يعترضه معترض .

كانت هناك سيارتان في الانتظار امام الباب .إحداهما سيارة مدير البوليس والثانية استقدمها المفتش ويبر لينقل بها سوفيران الي السجن .

وكان سائقا السيارتين جالسين في مقعديهما عندما حدثت المعركة فلما سمعا الطلقات النارية . وقفا علي استعداد ورأي سائق السيارة الاولي جاستون سوفيران وهو يثب في الفضاء . فأسرع السائقان في اثره .. وكان أولهما أسرع من زميله ، فراح يعدو وراء المجرم الهارب وفي يده العصا ذات المقبض الفضي وكان المفتش ويبر قد ضبطها مع المتهم وصادرها ووضعها في السيارة .

ولكن الشقي تحول الي السائق وهجم عليه هجمة فجائية وانتزع منه العصا وضربه بها علي أم رأسه ضربة قوية فتهشمت وانقذف جزء منها وبقي المقبض في يد سوفيران .

وفي هذه الاثناء كان بعض رجال البوليس قد خرجوا من المنزل ورأوا المجرم يفر ، فاطلق عليه احدهم رصاصة من مسدسه ، ولكنه اخطأه .. وتمكن الشقي آخر الامر من الفرار .

وحمل القوم ضابط بوليس (نويلي) الي فراش في الطابق الاول .. ولكن الرصاصة التي اطلقها عليه سوفيران كانت قد اصابته في رأسه إصابة قاتلة . فما لبث أن أسلم الروح .

اما المفتش مازيرو فكانت اصابته سطحية وقد روي ما حدث بالتفصيل فقال انه صعد مع سوفيران وضابط بوليس (نويلي) الي الطابق الثاني وهناك اتي الشقي بحركة فجائية سريعة فدس يده في جيب معطف عتيق معلق بالجدار وأخرج منه مسدسا صوبه الي رأس ضابط البوليس عن كثب واطلقه فسقط علي الارض في الحال . ومن ثم صوب مسدسه علي مازيرو واطلق رصاصات فاخطأته الرصاصتان .. وأصابت الثالثة كتفه .

وهكذا خسر رجال البوليس علي وفرة عددهم وعدتهم معركة كانوا يعتقدون أنهم فيها فائزون وفر غريمهم تحت سمعهم وبصرهم

ضرب مسيو ديماليون الأرض بقدمه في حنق وغضب .وصاح :

- لقد خدعنا وهزأ بنا .. فويل للشقي .

وهبط السلم مسرعا ليستفسر عما حدث .. ووجد رجال الشرطة الذين طاردوا سوفيران عائدين مخذولين . فسأل احدهم في قلق :

- هه ، ماذا حدث ؟!

فاجاب الشرطي :

- لقد تبعناه حتي عرج في الشارع المجاور وهناك كانت سيارة في انتظاره . ولابد انها كانت علي استعداد لأنه لم يكد يثب فيها حتي انطلقت به تسابق الريح .

- وسيارتي ..

- ان تسييرها كان يتطلب بعض الوقت وقد ..

- هل كانت السيارة التي هرب فيها من سيارات الاجرة ؟

- نعم كانت سيارة أجرة .

- اذن سوف نعثر بها ، ومتي علم سائقها من الصحف أن ..
وكان ويبر قد لحق به ، فهز رأسه وقال :

❁ هذا اذا لم يكن سائق السيارة من أعوان الشقي أو شركائه وبعد فهل تظن أن شقيا مثل سوفيران ، تدل اعماله علي انه عريق في الاجرام ، يجهل كيف يطمس آثاره ، ويجعل الاهتداء اليه ضرب المستحيلات ؟

إننا خرجنا من هذه المعركة بالهزيمة ياسيدي .

فقال الدون برينا .. وكان بدوره قد لحق بالقوم بعد أن تحدث الي مازيرو قليلا. واطمأن الي أن اصابته تافهة لاتدعو الي القلق

❁ نعم ..إننا هزمنا وهذا ما كنت أتوقعه .. فالرجل جريء غاية الجرأة ولكنني واثق من أنه لا يعمل بمفرده .. وان له شركاء ..

وقد اجتمع برينا بصاحبه مازيرو مرة أخري .. واستعلم منه عن تفاصيل الحادث .. ثم عاد ادراجه الي بيته في شارع باليه بوربون . ليستأنف التحقيق في حادث الستار الفولاذي .

كان هذا الحادث لايزال يشغله ويثير ريبته وفضوله .. كما كان يشغله ويثير فضوله سلوك الفتاة فلورنس ليفاسييه :

لفته الي هذه الفتاة تلك الصيحة التي افلتت من فمها حين سمعته يتحدث الي مازيرو تليفونياً ويسأله " هل حاولت مدام فوفيل أن تنتحر ؟ "

عاد برينا الي مكتبه . وشرع يفحص الباب ، والجدران القريبة منه ، حتي عثر بالزر الذي يحرك الستار الفولازي ، فجربه اكثر من مرة واستوثق من أن الستار لايمكن أن يهبط من تلقاء نفسه ، وأن شخصا لابد قد ضغط علي الزر عمدا .

فتري من الذي ضغط علي هذا الزر ؟

فلورنس ليفاسييه ؟

ولكن ماغرض الفتاة من محاولة الفتك به ؟

وقضي الدون برينا في مكتبه ساعة . يدخن ويفكر .. ويحاول إماطة اللثام عن سر المؤامرة التي بدأ يشعر بأنها تدبر ضده في داره

وانه لايزال يفكر . اذا بكبير الخدم يدخل عليه ويقول له في جزع يدل علي أن خدم القصر لم يكونوا علي جهل تام بمركز مولاهم :

❁ جاء مدير البوليس ياسيدي ..

فهتف الدون برينا :

❁ مدير البوليس ؟ واين هو ؟

❁ في قاعة الاستقبال ، ولم اعرفه بادئ ذي بدء وحاولت اخطار الآنسة فلورنس ، ولكن ..

فلم يلق برينا باله اليه ، ونهض الي النافذة فحرك الستار وألقي ببصره الي الشارع ، فرأي رجال الشرطة يرقبون المنزل كما هي العادة ، وليست هناك أية قوة اضافية ، أو إجراءات استثنائية ، فالشارع هادئ ساكن ، وكل شيء يسير في مجراه الطبيعي .

قال يحدث نفسه :

❁ لا شك ان مدير البوليس لا يضمر لي سوءاً وهذا ما كنت اتوقعه .

قال لكبير الخدم :

❁ قل له إنني هنا في انتظاره .

وما هي إلا لحظة حتي أقبل مسيو ديماليون يتبعه المفتش ويبر وكان أولهما واجما متجهما فاحني رأسه علي سبيل التحية .. أما المفتش ويبر فانه لزم السكون التام . وتجنب النظر في وجه الدون برينا . ولم يشأ أن يكتم شعوره نحوه . ولاحظ الدون برينا ذلك فتجاهل وجوده . وساد السكون لحظة .. ولم يشأ الدون برينا أن يكون هو البادئ بالكلام .

قال مدير البوليس فجأة :

❁ هل عدت من شارع ريشار ولاس الي منزلك توا ياسيدي ؟

❁ نعم ياسيدي .

❁ وقضيت كل وقتك في هذه الغرفة .

❁ نعم في هذه الغرفة .

❁ أما أنا فقد غادرت منزل سوفيران بعد ثلاثين أو أربعين دقيقة .وقصدت بسيارتي توا الي ادارة البوليس .

ولكنني لم أكد أصل . حتي وردت الي هذه البرقية .

قال ذلك . وأخرج من جيبه رسالة برقية وقدمها الي الدون برينا فتناولها هذا وقرأ فيها ما يلي :

" إن جاستون سوفيران قد التقي بعد هروبه بشريكه الدون برينا الذي تعلمون أنه أرسين لوبين بعينه . وارسين لوبين هو الذي دلكم علي مكان سوفيران لكي يتخلص منه . فيخلو له الجو ويصبح الوريث الاوحد لثروة مورننجتن . ولكن الشقيين عادا وتفاهما وتم الاتفاق بينهما علي العمل معا . وقد دبر لوبين لشريكه مخبأ . والدليل علي اجتماعهما معا في بيت لوبين أنكم تجدون في أحد ادراج لوبين مقبض العصا التي اعتاد سوفيران أن يحملها . والتي تحطمت في يده أثناء عراكه مع سائق سيارتكم .

قرأ الدون برينا هذه البرقية ثم هز كتفه استخفافا ..

كان يعلم انها مكيدة حقيرة لا تؤثر علي مركزه لانها تفتقر الي الصواب .

طوي البرقية وردها الي مدير البوليس دون أن ينطق ببنت شفة لانه أراد أن يرضي شعور الخيلاء في نفس مسيو ديماليون بأن يشعره بأنه سيد الموقف .

سأله مدير البوليس :

* هل عندك ما تدفع به هذه التهمة ؟

* كلا ياسيدي .

* انها تهمة صريحة كما تري . ومن السهل التحقق من صحتها .

* نعم ياسيدي . من السهل جدا التحقق من صحتها ها هو مكتبي .. لك مطلق الحرية في تفتيشه .

فتريث مسيو ديماليون بضع ثوان ثم تقدم من المكتب .. وفتش أحد الادراج فلم يجد شيئا . ففتش الدرج الثاني فالثالث وما كاد يفتح الرابع حتي وقع بصره في داخله علي مقبض العصا ..

كان المقبض مصنوعا من الفضة علي شكل رأس بجعة .

ورأي الدون برينا مقبض العصا في يد مدير البوليس . فافلتت من فمه صيحة دهشة وعجب ... تناوله وفحصه .

هل يعتبر وجود هذا المقبض دليلا علي جرمه ؟

من ذا الذي يستطيع أن يثبت أنه مقبض العصا التي كان يحملها سوفيران ؟

وكأنما أدرك مدير البوليس ما كان يجول بخاطره . لانه قال علي الفور :

❁ ان المفتش ويبر قد وجد الجزء الاخر من العصا في شارع ريشار ولاس . وجاء به .

وهنا ابرز ويبر من تحت معطفه الجزء الباقي من العصا .. وبوضع الجزأين لصق بعضهما . ظهر في الحال انهما يكونان عصا واحدة .

ولم يجد الدون برينا في استطاعته أن يقول شيئا .. ولكنه راح يسائل نفسه في غضب وحنق كيف استطاع جاستون سوفيران في أقل من عشرين دقيقة أن ينفذ الي بيته . بل والي مكتبه . ليوقعه في هذه الورطة ؟ التفسير الوحيد لهذه المعجزة هو أن يكون لجاستون سوفيران شريك بين المقيمين بالبيت .

قـال لنفـسـه : هاهي المحـاولة الثـانيـة لإزالتي من الطريق .. وهي تشبه من جميع الوجوه محاولة مدام فوفيل إذ دست زمردة الخاتم في خزانة زوجها القتيل .

قال له مدير البوليس في شيء من الضجر :

● ماذا تقول ياسيدي .. ألا تدافع عن نفسك ؟

● كلا ياسيدي .. ليس عندي ما ادافع به عن نفسي .

فضرب مسيو ديماليون الارض بقدمه وهتف :

● في هذه الحالة .. في هذه الحالة ..مادمت تعترف ..

فتح النافذة .. واطل منها ..

كان يكفي أن يشير باصبعه ليقتحم رجال الشرطة المنزل .

قال له الدون برينا :

● هل أدعو رجالك الي الدخول ياسيدي ؟

فلم يجب مسيو ديماليون ... وأغلق النافذة . وأخذ يسير في الغرفة جيئة وذهابا .

وبينما كان الدون برينا يقدح فكره في البحث عن أسباب تردد مدير البوليس وقف هذا الاخير أمامه فجأة . وقال له :

❁ اذا اعتبرت هذا الحادث كأنه لم يكن . وافترضت أن وجود مقبض العصا في مكتبك هو دليل علي خيانة أحد خدمك وليس دليلا علي اشتراكك في جريمة ما .. واذا تناسيت كل شيء .. ولم أقم وزنا لغير الخدمات التي قدمتها للمحققين في هذا الحادث .. وأخيرا .. اذا أطلقت سراحك فأصبحت حرا .. فماذا يكون ؟

فلم يتمالك برينا نفسه من الابتسام .

كان يشعر منذ البداية أن القوم في أشد الحاجة اليه .

سأله : تعني ان أصبح حراً بكل مافي الكلمة من معني .. فلا رقابة ولا مطاردة .. ولا شرطة تحيط بمنزلي . وتتعقبني ؟

❁ نعم .

❁ واذا استمرت حملات بعض الصحف علي بقصد اثارة الرأي العام .. وتحريض البوليس علي اتخاذ اجراءات من شأنها ..

فقاطعه مدير البوليس :

❁ أعدك بألا تتخذ ضدك اجراءات .

❁ إذن يجب ألا أخشى شيئا ؟

❁ في هذه الحالة ياسيدي تستطيع أن تطمئن الي أن النصر يكون في جانبنا . وسأبذل كل مافي وسعي لنصرة العدالة

وهكذا .. بعد هذه الظروف الاستثنائية العجيبة . تطور الموقف واضطر رجال البوليس الي الاعتراف بمواهب الدون برينا . والالتجاء اليه في مقاومة غرمائهم الذين استطاعوا حتي الآن أن يثبتوا مقدرتهم وتفوقهم .

كانت هذه (الهدنة) التي طلبها مدير البوليس من الدون برينا خير اطراء لمواهب هذا الاخير .. فتري هل لا يشعر مسيو ديماليون في قرارة نفسه بأن الدون برينا وارسين لوبين هما شخص واحد ؟

لم يكن في سلوك مدير البوليس ما يؤكد هذا الرأي أو ينفيه وليس بعيدا أن تكون هذه المحالفة التي عقدها مسيو ديماليون هي كغيرها من المحالفات التي يضطر أولو الامر في كثير من الاحيان الي عقدها لمصلحة العدالة ..

مهما يكن من أمر فقد تمت المحالفة بين الجانبين .

فسأله مدير البوليس :

❁ هل لديك ماتريد أن تسألنيه ؟ هل تطلب الوقوف علي شيء من المعلومات ؟ فأجاب برينا :

❁ نعم ياسيدي .. لقد قرأت في الصحف أن رجال البوليس عثروا في جيوب فيرو التعس علي طائفة من الاوراق الشخصية .. فهل كان بين هذه الاوراق ما يمكن أن يفيد العدالة ويرشد الي الاشقياء الذين راقبوا هذا التعس وطاردوه وفتكوا به ؟

❁ كلا .. لم يكن بين هذه الاوراق ما يستحق الذكر .. كلها أوراق شخصية وقوائم حساب هذا كل ما هناك .. آه .. نسيت .. وجدنا كذلك بين أوراقه صورة امرأة .. وهي صورة لم أوفق الي معرفة شيء عنها ..

بيد أنني أعتقد علي كل حال أن لا صلة بينها وبين القضية التي نحن بصددها ولذلك لم أبعث بها الي الصحف . هاهي ..

فتناول الدون برينا الصورة . ولم يكد يلقي ببصره عليها حتي مرت بجسده قشعريرة .

ولم يفت مدير البوليس ملاحظة ذلك .. فسأله :

❁ هل تعرف صاحبة هذه الصورة ؟

❁ كلا .. كلا ياسيدي .. لقد حسبت أول الامر أن .. ولكن لا ، هناك بعض الشبه فقط .. بيد أنني أحب أن أتأكد .. هل تستطيع أن تترك هذه الصورة معي حتي المساء ؟

❁ حتي المساء ؟ حسنا .. وتستطيع بعدئذ أن تردها الي المفتش (مازيرو) الذي سأصدر اليه التعليمات بأن يساعدك في تحقيق قضية مورننجتن وما يتفرع منها

وبهذا انتهت المقابلة وانصرف مدير البوليس فرافقه برينا الي الباب وهناك تحول اليه ديماليون فجأة وقال له :

❁ انك أنقذت حياتي اليوم من ذلك الشقي سوفيران .

فأجاب الدون برينا في تواضع : ياسيدي انني لم ...

❁ نعم .. نعم .. انت انقذت حياتي .. والظاهر أنك طبعت علي النجدة .. فلست بأول من أنقذت حياتهم ولا يسعني ازاء شهامتك إلا أن أعبر لك عن شكري .

وشد علي يده بحرارة .

أما المفتش ويبر .. فانه دس يديه في جيبه .. حتي لايضع يده بيد رجل يعتقد انه من الخارجين علي القانون .. ولاحظ الدون برينا ذلك فابتسم وقال لنفسه :

❁ هو ذا رجل لايجب أن أتوقع منه أي تسامح .. اذا أوقعني سوء الحظ بين يديه .

وأطل برينا من نافذته .. ورأي مدير البوليس والمفتش ويبر ينصرفان في سيارة الاول ..

وانصرف كذلك رجال البوليس الذين كانوا يرقبون المنزل ، ففرك برينا كفيه بارتياح وغمغم :

● لقد رفع الحصار .. فالي العمل .

ودق الجرس فأقبل كبير الخدم .

قال له : ادع الآنسة ليفاسييه لمقابلتي .

ثم أخرج من جيبه الصورة الفوتوغرافية التي أخذها من مدير البوليس .. وأخذ يمعن البصر فيها ..

كانت صورة قديمة .. قد أزال الزمن بعض معالمها .. ولكن ملامح الفتاة التي تمثلها الصورة كانت جلية ظاهرة .

صورة فتاة في مقتبل العمر .. ترتدي ثوب سهرة يكشف عن عنقها . وصدرها . وساعديها .

غمغم :

● هل يمكن ان تكون هي فلورنس ليفاسييه ؟

القي ببصره علي باطن الصورة . وامعن النظر في الكلمة إذ وجدها مكتوبة بمداد اوشك أن يتلاشي .

وبعد لأي .. استطاع ان يتبين هذه الكلمة .. " فلورنس "

قال : نعم .. انها فلورنس ليفاسييه بغير شك .. ولكن .. كيف وصلت هذه الصورة الي جيب (فيرو) .. وما صلة هذه الفتاة الساذجة التي كانت تعمل في خدمة الثري البلجيكي .. بهذه الحوادث المخيفة المتعاقبة .. وبالتحقيق الذي كان يجريه المفتش فيرو ؟!

وتذكر حادث الستار الفولاذي .. ومقال (الايكو دي باري) الذي كتب علي ورقه الخاص ..

وتذكر كذلك لغز مقبض العصا الذي وجد في درج مكتبه .

أخذ يقدح زناد الفكر عله يهتدي الي حقيقة الدور الذي لعبته هذه الفتاة .

كان يفكر .. وعيناه تحملقان في الصورة .

كانت الفتاة علي جانب كبير من الجمال .. وقد ارتسمت علي شفتيها في الصورة ابتسامة ساذجة ساحرة .

وفجأة .. فتح الباب .. ودخلت فلورنس ليفاسييه .

وفي هذه اللحظة .. مد الدون برينا يده وتناول آنية ملأ من مائها قدحاً .. وعندما هم بأن يرفع القدح الي شفتيه هجمت عليه الفتاة . وأمسكت بيده .. وانتزعت القدح منها .. وقذفت به علي الارض فتحطم .

قالت بصوت مختنق :

❁ هل شربت من هذا الماء ؟ هل شربت من هذا الماء ؟

فأجاب :

❁ كلا .. لم أشرب منه بعد .. لماذا ؟

غمغمت :

❁ إن ماء هذه الآنية .. إن ماء هذه الآنية ..

❁ ماذا به ؟

❁ هذا الماء مسمم .

فوثب من مكانه بعنف .. وقبض علي ساعدها بشدة .

صاح بصوت مخيف :

❁ هذا الماء مسمم ؟ ماذا قلت ؟ هل قلت ذلك ؟ تكلمي ؟ هل أنت واثقة ؟

وملكه نوع من الرعب والذعر حين تمثلت أمام عينيه جثث فيرو وفوفيل وادمون .

لو أنه تناول جرعة واحدة من هذا الماء لكان مصيره كمصير هؤلاء التعساء .

لزمت الفتاة الصمت فصاح بها بلهجة الآمر :

❁ تكلمي .. أجيبي .. هل أنت واثقة ؟

قالت : كلا .. لست واثقة .. ولكنه شعور مبهم خالجني .. شعرت بتشاؤم وانقباض صدر .. ان الانسان كثيراً ما يشعر بالنكبات شعوراً مبهماً .. غامضاً .

ولاح كأنها ندمت علي الكلام الذي نطقت به .. وانها تتمني لو تستطيع الرجوع فيه .

صاح :

❁ أريد أن أعرف .. أريد أن أعرف الحقيقة .. هل أنت واثقة من أن ماء هذه الآنية مسمم ؟

❁ كلا .. لست واثقة .. ولكن يحتمل ..

❁ ومع ذلك فانك ..

فقاطعته :

❁ لقد استولي علي وهم ..

❁ ليس أسهل من التحقّق .

ومد يده ليتناول آنية الماء .. ولكن الفتاة كانت أسرع منه ..

فاختطفت الآنية الزجاجية .. وضربت بها الطاولة .. فتحطمت

صاح برينا في غيظ وحنق : ماذا فعلت ؟

❁ قلت لك انني كنت مخطئة .. فلا يجب أن تعلق أهمية علي ما حدث .

ولكن الدون برينا لم يصغ اليها .. بل وثب الي الخارج مسرعا وما هي إلا لحظة حتي عاد وبين يديه كلب صغير .

وضع الكلب بالقرب من المكان الذي سال فيه الماء .. وكان جزء مقعر من الآنية قد احتفظ بقليل من الماء فلعقه الكلب ولكن ما كاد لعابه يصل الي جوفه .. حتي جمدت حركته .. ومرت بجسده هزة عنيفة . ودار حول نفسه مرتين أو ثلاثاً ..ثم سقط علي الارض . وسكنت حركته .

فحص الدون برينا الحيوان .. ثم قال بصوت هادئ :

❁ لقد مات .

ثم تحول الي الفتاة وقال :

❁ اذن فقد كان الماء مسموما حقا .. وكنت تعلمين .. فكيف علمت ؟

ملكت الفتاة نفسها .. وظلت محتفظة برباطة جأشها رغم أن قلبها كان يخفق بشدة كأنما يريد الوثوب من حلقها .

قالت :

❁ انني رأيت الكلب الآخر يلعق بعض الماء ويموت على الاثر وقد أخطرت بذلك سائق السيارة والحوذي .. وجئت مسرعة لأخبرك اشفاقا من أن يكون الماء الذي أعد لك قد سمم كذلك ..

❁ ولكن .. لماذا قلت إنك غير واثقة من أن الماء مسموم مع أن ..ولكنه لم يتم كلامه .. بل عاد فأطرق الي الارض مفكرا .. ثم قال فجأة :

❁ عندي ما أحب أن أقوله لك . ولكن في غير هذا المكان .

وأمسك بيدها وخرج من الغرفة وهي تتبعه .. فاجتازا الدهليز الممتد أمام الغرفة .. وعرجا علي جناح آخر في القصر .

كان الجناح خاصا بالآنسة فلورنس . فقصد الدون برينا الي احدي الغرف الخارجية والفتاة لاتزال تتبعه .

أوصد الباب وراءه . ثم التفت الي الفتاة وقال لها بلهجة تدل علي العزم :

❁ الآن يجب ان نتفاهم .

ك كانت تلك أول مرة ينفذ فيها الدون برينا الي الجناح الخاص بسكرتيرته . فلورنس ليفاسييه .

كان أثاث الغرفة التي دخلها مع الفتاة بسيطا ولكنه يدل علي ذوق سليم .

جلس برينا علي أحد المقاعد وظلت الفتاة واقفة ولكنها كانت في هذه الاثناء قد استعادت سلطانها علي نفسها .. واستبسلت حتي لكأنها لاترهب الاستجواب .

لزم الدون برينا الصمت بضع دقائق .. أدهشه أن ذهنه لم يسعفه بالاسئلة التي يجب أن يلقيها علي الفتاة .

كان يريد أن يوجه اليها أخطر التهم . ولكنه لم يعرف في أية صيغة يسوق هذه التهم .

قال لها أخيرا :

❁ هل تعلمين بما حدث في هذا المنزل صباح اليوم ؟

❁ صباح اليوم ؟

❁ نعم .. عقب الحديث التليفوني الذي دار بيني وبين أحد أصدقائي .

❁ أنبأني الخدم بما حدث ..

❁ ألم تعلمي بما حدث قبل أن ينبئك به الخدم ؟

❁ كيف كان يمكنني أن أعلم قبل ذلك ؟

كانت تكذب .. لم يكن ثمة شك في كذبها .

قال لها :

❁ سأسرد عليك بايجاز تفصيل ماحدث ..

انني لم أكد أفرغ من الحديث التليفوني الذي دار بيني وبين صاحبي وأهم بالخروج من الغرفة .. حتي سقط من أعلي الباب ستار من الفولاذ كاد أن يهشم رأسي .

وقد وجدت نفسي عندئذ شبه سجين ..

ولما كانت الحديقة فسيحة .. وتفصل المنزل عن الشارع فلا يمكن للسابلة أن يسمعوا صياحي .. فأنني لجأت الي الوسيلة الوحيدة للخلاص فاتصلت تليفونيا بالكونت داسترىناك .. وطلبت اليه أن يسرع الي القصر . وأن ينبئ خدمي بانني شبه سجين في غرفتي .

وبذلك تم لي الخلاص .

فهل انبأك الخدم بذلك ؟

❁ نعم ياسيدي . ولكني كنت في ذلك الوقت في ذلك الجناح

الخاص بي . فهو بعيد عن جناحك كما تري يا سيدي فلم اسمع صوت سقوط الستار ولم اعلم بزيارة الكونت داسترِيناك .

❁ حسنا .. ولكن ما قولك في انني علمت من كبير الخدم بعدئذ أن جميع أهل البيت يعملون بوجود هذا الستار الفولاذي .

❁ ذلك صحيح .

❁ ومن الذي انبأكم بوجوده ؟

❁ الكونت مالوني .. الثري البلجيكي الذي كان يملك هذا القصر قبلا .. وقد ذكر لنا طرفا من تاريخ هذا القصر .. فقال ان احد اسلافه الاقدمين كان يقيم في هذا القصر عندما شبت الثورة الفرنسية الكبري .. ولما كان من النبلاء ويشفق أن يبطش به الثوار فانه سجن نفسه في هذه الغرفة .. وقضي بها ثلاثة عشر شهراً .. واستطاع بفضل هذا الستار الفولاذي . ان يتواري عن عيون رجال الثورة .. الذين هاجموا القصر وفتشوه ، اكثر من مرة .

❁ مما يؤسف له ان احداً لم ينبئني بوجود هذا الستار الذي اوشك ان يهشم جمجمتي .

فلم يبد علي الفتاة شيء من الجزع او الاسف .. وقنعت بان قالت ببساطة :

* ربما كان يحسن فحص هذا الستار . ومعرفة العطب الذي جعله يهبط من تلقاء نفسه .

* ليس بالستار أي عطب .. أنا واثق من ذلك .. فلا يجب إذن اتهام الاقدار والمصادفات .

* من الذي حرك الستار إذن .. إذا لم يكن قد سقط بالقضاء والقدر ؟

* ان الستار سقط بفعل عدو أجهله .

* هل رأي أحد ذلك العدو ؟

* شخص واحد كان يستطيع أن يراه . وذلك الشخص هو أنت ذلك لانك كنت بالقرب من مكتبي .. وقد سمعت طرفا من حديثي التليفوني .. وأزعجك - فيما أذكر - نبأ محاولة مدام فوفيل الانتحار .

* نعم .. ان نبأ هذه المحاولة أزعجني .. فأنا أشفق علي هذه المرأة التعسة .. وأرثي لها .. سواء كانت مذنبة أو بريئة

* ولما كنت انت وقتئذ اقرب الناس الي الزر الذي يحرك الستار .

فلا شك أنك رأيت ذلك العدو الذي اراد الفتك بي .

وحملق في وجهها ولكنها لم تخفض بصرها .

كل ما هناك ان حمرة طفيفة صعدت الي وجنتيها .

قالت :

- كان يجب ان اراه اذا كنت حقا قد انصرفت من الغرفة قبل وقوع الحادث ببضع ثوان ..
- يبد أن ما هو أعجب من ذلك انني ضربت الستار بقبضة يدي بكل قوتي . فلم تصل الي اذنيك الضجة التي احدثتها .. أو الصيحات التي ارسلتها ..
- لاشك انني كنت وقتئذ قد وصلت الي غرفتي فلم اسمع صيحاتك .
- وإذا تركنا مؤامرة الستار جانباً .. وجب أن نفترض ان شخصا له اتصال بجرائم شارع سوشيه قد استطاع أن يتسلل الي غرفتي .. وان يخفي في درج مكتبي مقبض عصا لاحد الاشقياء المتهمين بارتكاب هذه الجرائم .. فهل تعلمين شيئا عن ذلك الشخص ؟

فظهرت علي وجه الفتاة علامات الدهشة الشديدة وبدا عليها كأنها خالية الذهن تماما من هذا الحادث .

انحني برينا الي الامام . وقال وهو يحملق في عينيها بشدة :

❁ اعترفي علي الأقل بان كل ذلك عجيب .

❁ عن أي شيء تتكلم ؟

❁ عن سلسلة هذه الحوادث التي دبرت ضدي في هذين اليومين .. فبالأمس عثرت بأصول المقال الذي نشرته جريدة الايكو دي باري واليوم كاد الستار الفولاذي أن يهشم رأسي .. واكتشف مدير البوليس في مكتبي دليلا عجيبا يثبت اشتراكي في جرائم لاضلع لي فيها واليوم كذلك كدت أموت مسموما .

فهزت رأسها وقالت :

❁ نعم .. نعم .. هذه في الحق سلسلة عجيبة من الحوادث والمصادفات .

❁ انها ليست مصادفات بحتة يا آنسة .. انها أدلة ملموسة علي وجود عدو في هذا المنزل .. عدو يواصل العمل باصرار لغرض جلي وغاية واضحة ..

أنا واثق من أنني سأتعرض للمزيد من الاخطار . لقد نجوت حتي الآن من السم . والتهشيم والاعتقال .

ولكن لايزال هناك .. الخنجر . والمسدس .. والحبال .. هذا العدو الذي يقيم معي تحت سقف بيتي يريد أن يزيلني بأية وسيلة .. لماذا ؟ لان لي صلة بميراث مورننجتن . هذا مؤكد ، لقد هلك بسبب هذا الارث اللعين حتي الآن اربعة أشخاص . فهل أكون الخامس ؟ من المؤكد . نعم من المؤكد ان جاستون سوفيران أو شخصا آخر غيره له اتصال بالميراث قد قرر القضاء علي . وإزالتي من الطريق . فارسل في اثري شريكا يتعقبني كظلي ويحصي علي الحركات والسكنات . فمن هو هذا الشريك ؟ اريد أن أعرف . يجب ان أعرف .

واقترب من الفتاة خطوة أخري . ولكنها لم تجزع ولم تتقهقر .

هتف : نعم . من هو هذا الشريك الذي يقيم في بيتي ويريد لي الموت ؟

❁ لا اعلم .لا اعلم . ربما لم تكن هناك مؤامرة كما تتوهم .. وكان الامر مجرد اتفاق ومصادفة .

وود الدون برينا في هذه اللحظة أن يصرخ في وجهها : " انت كاذبة .. انك أنت ذلك الشريك .. أنت التي سمعت الحديث التليفوني بيني وبين مازيرو .. أنت التي أردت تعويقي عن المساهمة في القبض علي سوفيران أنت التي أردت الاسراع

لنجدته .. أنت التي انتظرته بالسيارة وساعدته علي الفرار ..
وأخيراً .. أنت التي أخذت منه مقبض العصا وأخفيته في درج
مكتبي ...نعم ... انك أنت التي فعلت كل هذا ايتها الحسناء
بقصد الفتك بي لأسباب لازلت اجهلها .

ان اليد التي تضرب في الظلام هي يدك "

ولكن كان من المستحيل أن يصارحها بهذا . لانه يفتقر الي
الدليل المقنع . وذلك ما اغاظه . علي أن لهجته ونظراته كانت
كلها اتهاما صريحا للفتاة .

قال : حسنا .. سأستجوب جميع الخدم واطرد من تحوم حوله
الشبهات منهم .

فهتفت الفتاة : كلا لا تفعل انني اعرفهم جميعا وهم فوق
الشبهات .

ودهش الدون برينا للتحول العجيب الذي طرأ علي الفتاة فقد
استحال موقفها من الحزن الي ما يشبه الاستعطاف وطلب الرحمة

ولكن الرحمة لمن ؟ للخدم ؟ لنفسها ؟ لزم الصمت لحظة . راح
يفكر دون أن يرفع عينيه عن وجه الفتاة .

وهنا فقط تذكر صورتها الفوتوغرافية ورأي علي وجه الفتاة
كل أسباب الفتنة التي تتجلي في الصورة .

سأل نفسه : هل يمكن أن تكون هذه الفتاة الفاتنة قاتلة أثيمة؟

قال لها :

* هل هذه صورتك يا آنسة ؟ وقدم لها الصورة .. فتأملتها وهتفت .

* نعم .. كيف وصلت اليك ؟ قل .. تكلم .. كيف وصلت اليك هذه الصورة .. انها سرقت مني .. انها صورتي إذ كنت لا أزال في الخامسة عشرة من عمري .. فتاة بريئة طروبة ..

ولأول مرة .. رأي برينا الدموع تترقق في عيني الفتاة ..

د دق جـرس التليـفـون .. فـتناول الدون برينا السماعة .. واذا بالمتكلم صديقه مازيرو .

هتف قائلا :

* أهذا أنت يا مازيرو .. ماذا عندك من الانباء ؟

* عندي نبأ علي جانب عظيم من الخطورة .. انني أجدّ في أثر فلورنس ليفاسييه، فتصرفات هذه الفتاة - كما قلت لي - تبعث علي الريبة .. قد رأيتـها تغادر قصرك من البـاب الخلفي .. فـتعـقبتـها دون ان تشـعـر بي .. وأنا أتحدث اليك الآن من حانوت في شارع سوشيه .

فهتف برينا :

* شارع سوشيه .. حيث يوجد منزل المهندس فوفيل .. وماذا ذهب بهذه التعسة الي هذا الشارع ؟

* لا أعلم .. بيد أنها فعلت أكثر من ذلك .. فقد رأيتـها تتسلل الي منزل فوفيل .

* مـاذا تقول ؟ فلورنس في منزل المهندس فـوفـيل ؟ ولكنني أعلم أن أبواب هذا المنزل قد أغلقت وأصبح مهجورا منذ ألقي القبض علي مدام فوفيل .

❁ هذا صحيح .. ويخيل الي الناظر أن المنزل لايزال مهجوراً ولكن فتاتك قصدت الي أحد الابواب الخلفية .. وتلفتت يمنة ويسرة في حذر شديد .. ثم طرقت الباب .. ففتح في الحال .. فتسللت إلي الداخل . وأقفل الباب .. وقد حدث ذلك في أسرع من لمح البصر .. ولكني رأيت كل صغيرة وكبيرة .

❁ وماذا في نيتك أن تفعل الآن ؟

❁ سأراقب القصر حتي تلحق بي .. وإذا حانت لي فرصة لدخوله فسأدخل .

فهتف الدون برينا :

❁ كن علي حذر يامازيرو .. سألحق بك في الحال .

ووضع السماعة . واختطف قبعته . وراح يهبط السلم وثبا .

كانت حوادث الايام الاخيرة قد أقنعت الدون برينا بوجود علاقة وثيقة بين سكرتيرته والشخص أو الاشخاص الذين يناوئونه .. وقد عجز عن إيجاد الدليل .. ولكنه رأي أن أفضل وسيلة للتحقق من أمر هذه الفتاة ومعرفة الاشخاص الذين تأتمر بأمرهم . هي أن توضع تحت أشد الرقابة . فاتفق مع زميله مازيرو علي أن يقوم هذا الاخير بتعقبها ومراقبتها دون أن تشعر

وقد نجح مازيرو في مهمته .. وكانت النتيجة انه تأثر الفتاة حتي رآها تدخل بيت المهندس فوفيل بشارع سوشيه .

وعندما وصل الدون برينا الي هذا الشارع .. بحث عن مازيرو في كل ركن .. فلم يجد له أثرا ..

دار بمنزل فوفيل .. ولكنه لم ير في النوافذ ضوءا .. ولم يسمع حسا ..

حار في الامر .. تري هل انصرفت الفتاة فتبعها مازيرو ؟

لم يستطع أن يقطع في الأمر برأي .. ولكنه قال لنفسه :

* إذا كانت فلورنس قد دخلت هذا المنزل خلسة .. فلا بد أنها فعلت لأمر ذي بال .

ودار حول المنزل مرة أخري .. ورأي الباب الخلفي الذي ذكر مازيرو ان الفتاة تسللت منه .. ولكنه آثر أن يدخل المنزل عن طريق آخر ..

تلفت يمينة ويسرة .. حتي إذا اطمأن الي خلو الشارع من المارة وثب فوق سور المنزل بخفة النمر . ثم قفز الي الحديقة .

أصاخ السمع ..

كان السكون شاملا ورهيبا .

وقد وقف برينا لحظة حائرا بين أن يدخل المنزل .. أو يعرج علي الجناح المنفرد الذي قتل فيه فوفيل وولده .

تذكر جثة الرجل وابنه .. ومرت في جسده قشعريرة شديدة .

قال لنفسه : هذه فرصة سانحة لتحقيق هذه الجريمة تحقيقا اوفي ..

واقترب من باب الجناح الخاص واراد ان يعالج فتحه فدهش اذ وجده مفتوحا . شعر بالخطر .. كما يشعر به الحيوان في الغاب .

فتح الباب ودخل ومصباحه الكهربائي الصغير في يده .اجتاز الدهليز .. وصوب ضوء المصباح علي باب الغرفة التي قتل فيها المهندس فوفيل .. وأدهشه للمرة الثانية أن يجد الباب مفتوحا .

تري هل زارت فلورنس هذا الجناح ؟ وماذا كان غرضها من الزيارة .

دخل الغرفة .. ولكنه لم يكد يتقدم فيها خطوتين حتي بهر عينيه ضوء قوي ساطع .. وسمع صوتا يقول بلهجة الآمر :

● ارفع يديك ..

أطاع في الحال .. ولما ألفت عيناه ذلك الضوء الشديد .. تبين في أحد أركان الغرفة غريمه جاستون سوفيران .. ورأي في يده مسدسا مصوبا اليه ..

قال جاستون سوفيران بلهجة الساخر :

❁ هل حسبت أنك توقعني في فخ ؟ لقد أدركت حين وجدت المنزل خلواً . أن في الامر خدعة ..

ها .. ها .. أنت إذن الذي أرغمت الفتاة علي أن تضرب لي موعداً هنا ..

فقال الدون برينا في هدوء :

❁ عن أية فتاة تتكلم ؟

فصاح جاستون :

❁ عن أية فتاة ؟ عن فلورنس التعسة ..

❁ كلا .. أؤكد لك انني لم أرغم الفتاة علي شيء .. ولم أطلب اليها أن تحدد لك موعدا في هذا المكان أو في سواه

❁ لماذا جئت اذن الي هذا المنزل ؟

ففكر برينا لحظة ثم أجاب :

❁ جئت لاجراء تحقيق شخصي في حادث مصرع المهندس فوفيل ..

❁ تحقيق شخصي ؟ أولست أنت الذي دبرت كل هذه الادلة

الملفقة ضد ماري مرغريت فوفيل ؟ ألست أنت الدون لويس برينا ؟ انني رأيت صورتك في عشرات الصحف .. نعم .. انني لم أعلم بأمر مقتل فوفيل إلا عندما أراد البوليس القاء القبض عليَّ وأنا واثق الآن بعد أن قرأت التفاصيل .. انك لعبت دوراً خطيراً في الجريمة وتحقيقها .. ولذلك انتهزت فرصة وجودي هنا الليلة للبحث عن دليل يرشد الي المجرم الحقيقي .. أما ماري مرغريت فانني واثق من براءتها ..

دهش الدون برينا .. لأن الرجل كان يتكلم باخلاص .

إذا لم يكن هو القاتل .. ولم تكن ماري مرغريت شريكته .. فمن يكون المجرم اذن ؟

أطرق برأسه مفكرا .. ولمعت عيناه .

قال :

❁ انني أصبحت أعتقد يا سيدي أن في هذه القضية نواحي عدة لم يكشفها التحقيق بعد ..

فقال سوفيران :

❁ انني أعرف الكثير مما لم يهتد المحقق الي معرفته بعد .. ولكن أحداً لم يترك لي فرصة للكلام ...

❁ اذن يجوز أن نتحدث في الامر مليا .. ولكنني في الحق لا أستطيع أن أفهم جيداً .. وفوهة مسدسك مصوبة الي ..

وكان الدون برينا قد لاحظ في هذه الاثناء أن غريمة يحتل أحد أطراف السجادة التي يقف هو علي طرفها المقابل .. فانحني بأسرع من لمح البصر .. وجذب طرف السجادة ..

وفي هذه اللحظة انطلق مسدس سوفيران .. ولكن الرصاصة أصابت سقف الغرفة .. لأن توازن سوفيران اختل عندما جذب برينا السجادة من تحت قدميه . فسقط علي الارض . وانقض عليه برينا في الحال .. وانتزع منه المسدس .. ثم ابتعد عنه وهو يقول :

❁ الآن تستطيع أن تجلس أمامي .. وأن تحدثني بما تريد .. ولكنني احذرك بأن أية حركة تبدر منك قد تؤدي الي هلاكك .

فنهض سوفيران من سقطته .. ورفع يديه فوق رأسه وراح ينظر الي برينا في غيظ وحنق ..

قال له الدون برينا :

❁ تستطيع الآن أن تسرد قصتك اذا شئت .

فأطرق سوفيران برأسه .. وفكر طويلا ..

وعندما رفع رأسه بعد دقائق رأي برينا في تقاطيع وجهه علامات الاستسلام والاستكانة والخضوع .. كما لو كان قد قرر الكف عن النضال والمقاومة . قال :

* ثق يا سيدي انني فكرت مرارا في ان الجأ اليك لأسرد عليك قصتي بالتفصيل .. واهمس في اذنك ما لا أريد أن تملأ به الجرائد صفحاتها .. ثم اطلب منك بعد ذلك ان تساعدني علي الخروج من ورطتي .

* نعم .. لقد افهمتني فلورنس انك الرجل الذي استطيع ان الجأ اليه في طلب الانصاف .. دون ان القي منه إعراضا وعنتا

فدهش الدون برينا وسأل :

* هل حدثتك فلورنس عني ؟

فأجاب الرجل : انها حدثتني عنك كثيرا .. وبحسبي ان اقول لك انك جعلت منها امرأة غير المرأة .. نعم .. انك ساهمت في انقاذها من مخالب وحش كان يسوقها في طريق الإثم والجريمة دون ان تشعر المسكينة بالهوة التي اخذت تنحدر اليها .

أثار هذا الكلام فضول الدون برينا .. وأراد أن يعرف المزيد من أمر فلورنس ليفاسييه وامر الرجل (الذي يسوقها في طريق الإثم والجريمة) فسأل :

۞ ومن هو هذا الرجل ؟

۞ سأعترف لك بكل شيء يادون برينا .. لاطمعا في النجاة من القصاص كلا .. وإنما طمعا في أن تعمل بقدر ما تستطيع علي انقاذ امرأة تعسة القيت في غيابة السجن ظلما .. وأعني تلك المرأة ماري مرغريت فوفيل ..

انني كنت أحب هذه المرأة وقد ألحقت بخدمتها فلورنس ليفاسييه فاتخذتها وصيفة لها ..

أما فلورنس ذاتها فهي فتاة لقيطة تبناها شقيقي (راوول) في أمريكا ولما توفي منذ خمسة عشر عاما جئت بها معي

وقد حدث مرة أن ضبط هيوليت فوفيل رسالة غرامية كنت أرسلتها الي زوجته . فساءت العلاقة بيني وبينه وطرد فلورنس من خدمة زوجته فالحقتها بخدمة الكونت (مالوني) وظلت هذه الفتاة حلقة الاتصال بيني وبين مدام فوفيل .. التي كانت تزورها في قصر الكونت مرة في كل اسبوع .

ان ماري مرغريت آثرت أن توجه اليها تهمة القتل علي أن

تلوك الالسن اسمها وعلي ان يصبح سلوكها مضغة في الافواه انهـا كانت علي مـوعد مـعي في تلك الليلة التي قـتل فيـها زوجها .. وذلك يفسر لك معني صمتها المريب .

❁ هذا كلام معقول .. ولكن ما هو الدور الذي لعبته أنت في هذه الجرائم .

❁ اؤكد لك أن دوري لم يبدأ إلا عندمـا أراد رجـال البـوليس القبض علي .. والواقع أنني أصبت بما يشبـه الجنون حين علمت بمصير ماري مرغريت .. ولكن هذه الثورة الوقـتيـة زالت بالتدريـج .. وخطر لي مراراً أن أسلم نفـسي لرجـال الشرطة .. ولم يقعدني عن ذلك سوي إلحاح فلورنس ..

فنظر الدون برينا الي محدثه بحدة ثم سأله :

❁ ألست أنت الذي استبدلت رسالة مفتش البـوليس (فيرو) بقصاصة ورق بيضاء في مقهي (الجسر الجديد) .

فهتف سوفيران :

❁ مقهي الجسر الجديد ؟ انني لم اضع قدمي قـط في مقـهي بهذا الاسم . أو في أي مقهي علي الاطلاق .

فدهش الدون برينا وسأل :

❁ هل انت واثق مما تقول ؟ ولكن .. ولكن العصا التي كانت معك .. لقد قرر كثيرون أنهم رأوك في هذا المقهي وكانت العصا ذات المقبض الفضي هي أفضل مرشد اليك

❁ العصا ذات المقبض الفضي ؟ ان فلورنس قدمت الي هذه العصا علي سبيل الهدية .

❁ متي كان ذلك ؟ أعني هل قدمت إليك هذه العصا قبل مصرع فيرو أو بعد ذلك ؟

❁ ومتي قتل فيرو ؟

❁ منذ عشرين يوما تقريباً .

❁ إذن فقد قدمت الي فلورنس هذه العصاة بعد مصرع فيرو .

❁ ولكن أحد عمال المقهي قرر أنه تبعك الي محطة الترام . وسمعك تسأل عن أقرب محطة الي (نويلي) .. وهكذا استطعنا أن نعرف مقرك ..

❁ لا علم لي بهذا انني لم أطأ بقدمي مقهي " الجسر الجديد " الذي عنه تتكلم .. ولايبعد أن يكون الرجل الذي دس علي العصا عن طريق فلورنس .. هو بعينه الذي كان في المقهي متنكراً بزيي .

❁ ومن هو هذا الرجل ؟

فصمت سوفيران لحظة ثم قال : سأذكر لك اسمه .. انه الروح الشريرة التي كانت تسير فلورنس التعسة .. إنه جان كوكار الذي يوهمها بأنه يحبها .. والذي اتخذ منها أداة لتحقيق أغراض له ومطامع .

❁ جان كوكار ؟ من هو هذا الرجل

❁ لا اعلم عنه شيئا إلا أنه رجل في مقتبل العمر يسيطر علي فلورنس سيطرة تامة .. ولكنها اعترفت لي في المرة الاخيرة بأنه بدأ يورطها في سلسلة من الجرائم . ولذلك أرادت أن تنفض يدها منه بعد أن أسلست له قيادها وكانت آلة صماء في يده مدة طويلة .. ومما ساعدها علي المضي في عزمها تلك المواقف التي كانت بينك وبينها في المدة الاخيرة .. انها كانت تسرد عليَ كل شيء بالتفصيل يا دون برينا ..

❁ هل ينتمي هذا الرجل الي احدي الاسر صاحبة الحق في ميراث كوزمو مورتنجتن ؟

❁ لا أعلم يا سيدي ولكني واثق من انه لا ينتمي الي احدي هذه الاسر .

❁ لي سؤال أخير يا مسيو سوفيران . هل كان مسيو فوفيل سعيدا في حياته الزوجية ؟

❁ كلا .. ياسيدي .. ان علاقته بزوجته كان يغلب فيها الفتور .. والجمود .. بل إنه كان يخافها ويحذرها ويعتقد أنها تتآمر به لتقتله بالسم فيخلو لها الجو فتقترن بي

❁ ولماذا تركت بيتك في شارع (رول) فجأة . دون ان تذكر لأحد عنوانك الجديد

❁ إنني هجرت هذا المنزل .لأن المصادفات السيئة شاءت في أحد الايام أن أقابل هيبوليت فوفيل بالقرب من منزلي .. ولذلك خشيت أن يعمل علي مراقبتي .. ومراقبة زوجته فهجرت هذا المنزل .وتعمدت كتمان عنواني الجديد .. حتي لا يتعقبني فوفيل .

وجد الدون برينا أن هذا الايضاح يفسر كل شيء .. ولكنه سأل نفسه .. تري هل قال الرجل الصدق ؟

سأله :

❁ وماذا جاء بك الآن الي هذا المنزل ؟

❁ ألم أقل لك إن فلورنس اتصلت بي تليفونيا .. وطلبت الي

موافاتها هنا ؟ إنها ألحت علي في أن أقابلها بدعوي أنها عثرت في هذا المنزل علي أدلة قوية تثبت بصفة قاطعة براءة ماري مرغريت فوفيل مما نسب اليها .. فاسرعت الي هنا . ولما لم أجد أحداً ، فكرت في أن أنتهز الفرصة للبحث هنا عن الدليل أو أثر يخدم قضية مدام فوفيل .

فحار الدون برينا في هذا اللغز .. ولم يجد له تعليلا معقولا .

سأل :

- ❁ ألا يحتمل أن تكون الفتاة قد اتخذت أداة لاجتذابك الي هنا والايقاع بك ؟

❁ ومن ذا الذي يهمه الايقاع بي ؟

❁ الذي يهمه ذلك .. هو الشخص الذي قدم اليك العصا ذات المقبض الفضي . لكي يورطك في حادث مصرع المفتش فيرو .

وهو الشخص الذي يهمه أن يزول كل انسان ينتمي الي اسرة (روسل) لكي يخلو له الجو ويتفرد بثروة مورننجتن .

❁ وبعد .. فانني واثق من أن الفتاة جاءت الي هذا المنزل .

❁ هل فتشت الاجنحة الاخري من المنزل ؟

* كلا .. لانها ضربت لي موعداً في هذا الجناح .

* اصغ الي يامسيو سوفيران .. انني واثق من صدقك .. وواثق من أنك لم تقاوم رجال البوليس منذ أيام إلا وأنت في حالة نفسية وعقلية غير عادية .. وقد ..

فقاطعه سوفيران بقوله :

* لقد كان جل غرضي أن أستمتع بحريتي لكي أعمل علي انقاذ المرأة التي ضحت من أجلي بأغلي ما تضحي به امرأة من أجل رجل .

* انني مقتنع الي حد ما ببراءة مدام فوفيل .. فهل تعمل معي بمعونة فلورنس علي اقتناص المجرم الحقيقي .

* انني علي استعداد للتعاون معك يادون برينا .. ولكني أحب فقط أن أتجنب رجال البوليس .. فهم كما تعلم يجدّون في طلبي بسبب مقتل ضابط بوليس نويلي ..

* هذه مسألة يمكن تسويتها فيما بعد .. اما الان .. فيجب ان نبدأ بتفتيش الجناح الاخر من المنزل . لانني واثق من انك لم تدع الي هنا عبثا .

فقال سوفيران في خضوع وتواضع :

❁ هل تسمح لي بأن أشد علي يدك ياسيدي ؟

انك ستنقذ من الموت والعار امرأة تعسة . ذهبت ضحية حبها لي وحرصها علي سمعتها وكرامتها ..

فبسط برينا يده الي سوفيران فتناولها هذا وشد عليها بحرارة

انتقل برينا وسوفيران الي الجناح الذي كانت تشغله مدام فوفيل وفتشاه عن كثب ولكنهما لم يعثرا فيه علي أثر لفلورنس

وعندما هما بالانصراف خيل للدون برينا أنه يسمع انينا ضعيفا صادراً من أحد الاركان .

سأل سوفيران :

❁ هل سمعت ؟

فأرهف سوفيران أذنه ومالبث أن سمع الصوت الذي سبقه برينا الي سماعه .

قال :

❁ إنني أسمع أنينا خافتا ..

فلم يجبه برينا .. بل عمد الي المصابيح الكهربائية فأضاءها جميعا .. بيد أنه لم يكد يفعل ذلك .. حتي سمع صفيرا يدوي في الشارع عرف فيه صفير رجال البوليس .

حرك ستار أحد النوافذ واطل الي الخارج .. فرأي المنزل محوطا برجال البوليس .. وتبين وجه المفتش ويبر .. وهو واقف تحت أحد مصابيح الشارع يصدر أوامره الي رجاله .

التفت الدون برينا الي سوفيران وقال له :

❁ هل رأيت ؟ ان رجال البوليس يحيطون بالمنزل .. هذا هو الفخ الذي استدرجتك اليه فلورنس ..

فامتقع وجه سوفيران .. وراح يجيل الطرف حوله .. كأنه يبحث عن مفر . قال وهو زائغ البصر :

❁ أنا واثق أن فلورنس لاتقدم علي هذه الخيانة .. واثق من ذلك ثقتي بنفسي .. هل تعلم لماذا ؟

فنظر اليه الدون برينا مستفسراً .. فاستطرد الرجل :

❁ انها لا تقدم علي خيانتي لأنني الشخص الوحيد الذي تستطيع أن تلجأ اليه وتلوذ به .. لانني عمها .. نعم .. إنها ابنة أخي راوول الذي توفي في امريكا منذ خمسة عشر عاماً .

فألقي الدون برينا يده علي كتف سوفيران وهزه بعنف وهو يقول :

❁ فلورنس هي ابنة اخيك لماذا لم تقل لي ذلك من البداية يا رجل ؟

❁ اننا نكتم هذه الصلة .. لأن فلورنس ابنة غير شرعية .

❁ وهل يعلم جان كوكار بذلك ؟

❁ أظن أنه يعلم .. من المؤكد أنه يعلم ..

فابتسم برينا وغمغم :

❁ لقد حل اللغز اخيرا .. ولكن حدثني .. هل تعتقد انها ارغمت علي الايقاع بك في هذا الفخ .

❁ أنا واثق من ذلك .. قلت لك إنها لايمكن أن تخونني ..

وفي هذه اللحظة .. دوي صفير في الشارع مرة أخري ، فأطل برينا من النافذة ثم قال :

❁ إنهم يتأهبون لمهاجمة المنزل .

❁ وما العمل ؟

❁ يجب ان تختفي .. يجب أن تختبئ ولكن كيف .. أين ؟

وأخذ يسير في الغرفة جيئة وذهابا ثم وقف اخيرا أمام سوفيران وقال له :

❁ اصغ الي .. اعتقد ان رجال البوليس قد رابطوا حول المنزل منذ وقت طويل . ولكنهم نشطوا وتحركوا عندما اضأت

النور فاذهب انت الي غرفة فوفيل . واكمن هناك في الظلام وسوف تري ان رجال البوليس سيقنعون بمقابلتي والتفاهم معي في هذا الجناح .

فأطاع سوفيران في الحال أما الدون برينا فانه أخذ يبحث عن مصدر الانين .. فأرهف اذنيه ...سمع الانين يتردد . وسمع مع تردده دقات منتظمة كدقات الساعة ارسل البصر الي جدران الغرفة ولم ير ساعة . توترت أعصابه وداخله شك مخيف ..

اصغي .. لم تنقطع الدقات المنتظمة .. وتردد الانين علي الفور . وكان في هذه المرة قويا .. فعرف الدون برينا مصدره .. وأسرع الي صندوق في أحد الاركان .

وألصق أذنيه بجدران الصندوق .. فسمع الأنين مقرونا بتنفسات مختنقة .

فتح الصندوق دون عناء . ولكنه لم يكد يلقي ببصره في داخله حتي جمد الدم في عروقه . رأي المفتش مازيرو موثوق اليدين والقدمين .مكموم الفم . وملقي في جوف الصندوق .

هتف : الكسندر .. ماذا بك ؟

وأسرع الي نجدته فرفع الكمامة . وقطع الوثاق. وساعده علي النهوض ثم علي الخروج من الصندوق .

قال له ضاحكا :

❁ من ذا الذي فعل بك هذا ؟ فلورنس الحسناء ؟

❁ أيها الرئيس . هل وجدت الآلة الجهنمية .

وأجال حوله بصراً زائغا . فقال برينا :

❁ عن أية آلة تتكلم

❁ القنبلة .

❁ اين . اين ؟

❁ الا تسمع دقات الساعة المثبتة بها ؟ هنا في هذا الدولاب بالله اسرع بالله ايها الرئيس . الساعة الآن العاشرة موعد انفجار القنبلة .. اسرع .. اسرع .

ووضع كفيه علي اذنيه حتي لا يصمهما انفجار القنبلة ، وانطلق الي الخارج وهو يصيح :

❁ القنبلة .. القنبلة .. انج بنفسك يالوبين .

ولكن برينا كان قد اختطف الآلة الجهنمية ، وقذف بها من النافذة المطلة علي الحديقة .

وما هي إلا بضع ثوان ، حتي دوي في الفضاء صوت انفجار

القنبلة ، وشعر برينا ومازيرو بالارض تهتز تحت اقدامها ، وبالجدران تكاد أن تهبط فوقهما .

وقد اقترن انفجار القنبلة بصرخة ثاقبة سمعها الدون برينا فجمد الدم في عروقه .

أسرع الي النافذة وأطل منها .

كانت القنبلة قد سقطت فوق الجناح الذي أعده المهندس فوفيل لعمله .. فمزق الانفجار هذا الجناح شر ممزق .. ودفن سوفيران التعس تحت الانقاض .

وبعد بضع دقائق .. كانت سيارتان تنهبان الارض نهبا في الطريق الي سان جرمين . وقد جلس في الأولي الدون برينا والمفتش مازيرو والمفتش ويبر . واحتشد في الثانية بعض رجال الشرطة .

وقد راح مازيرو يسرد ما حدث له . فذكر كيف أراد أن يفاجئ فلورنس وشركاءها . فدخل المنزل عن طريق الحديقة ، ثم تسلل الي الداخل ، وكيف انه اصطدم باحد المقاعد فسقط المقعد وأحدث ضجة لفتت اليه الانظار فانقض عليه رجلان عرف في احدهما سلفستر خادم المهندس فوفيل وذكر كيف شد الرجلان وثاقه ووضعاه في الصندوق وكيف راحا يهددان فلورنس بأن

يفعلا بها ما فعلا بي إذا هي لم تتصل تليفونيا بجاستون سوفيران وتدعوه الي مقابلتها في بيت فوفيل .

وقال ان الرجل الآخر الذي كانت فلورنس تدعوه باسم (جان) اتصل بعد ذلك تليفونيا بمدير البوليس ، وأخطره بان جاستون سوفيران سيكون في بيت المهندس فوفيل حوالى الساعة العاشرة . ثم اتصل تليفونيا بعدئذ بقصر الدون برينا .. ولاشك أنه كان يريد ابلاغه كذلك نبأ قدوم سوفيران الي بيت فوفيل ، حتي اذا انفجرت القنبلة أودت بخصومه جميعا .

وقد اتفق سلفستر وجان علي اللقاء في اليوم التالي في بيت ثانيهما في سان جرمين .

وقد تزعم الدون برينا قوة البوليس التي هاجمت بيت جان كوكار وضبط الشقي وهو يحاول اقناع فلورنس بالاقتران به .

وقد اعترف جان كوكار بجميع الجرائم التي ارتكبها لكي ترث فلورنس كل ثروة مورننجتن ودل علي شريكه سلفستر . وقد وجد في بيت هذا الأخير عند تفتيشه (قالب) من الجص يمثل أسنان مدام فوفيل ، وقد صنع هذا القالب طبيب للاسنان كان قد كلف بمعالجة أسنان مدام فوفيل .

وقد أطلق سراح هذه السيدة فنزلت هي وفلورنس للجمعيات الخيرية عن حقوقهما في ثروة مورننجتن التي جلبت كل هذه الجرائم والويلات .

صدر من هذه المجموعة

* صاحب الملايين
* القيد الحديدي
* الفخ
* دماء في الريف
* المجرم
* الباب الاحمر
* سجين القفص
* ملك الماس
* عقد اللؤلؤ

دار الفرجاني

٩ ميدان الذهبي - منشية البكري - مصر الجديدة

تليفون : ٢٩٠٥٨٩٥ ص. ب : ٢٣٨٢ الحرية

رقم الايداع : ٩٢٦١ / ١٩٩٤
ISBN: 977-5496-11-X

من هذه السلسلة أطلب هذه القصص:

- سجين القفص
- المجرم
- الباب الأحمر
- ملك الماس
- القيد الحديدي
- دماء في الريف
- الفخ
- صاحب الملايين
- عقد اللؤلؤ

دار الفرجاني

القاهرة - طرابلس - لندن

القاهرة: ٩ ميدان الذهبى -منشية البكرى - مصر

ص. ب ٢٣٨٢ الحرية - تليفون ٢٦٠٥٨٩٥

